النصرانية من التوحيد إلى التثليث

محمد أحمد الحاج

مع إضافات من قبل I WANT THE TRUTH

الفصل الثاني



الفصل الثاني

المحتوى

- اثر اليهود في الانحراف
- أثر رجال الكنيسة في الانحراف
- أثر الفلسفة في الإنحراف
- Origen
- Logos

أثر اليهود في الإنحراف

لقد كان لليهود أثر بارز في انحراف النصرانية عن التوحيد، ووصولها إلى ما آلت إليه من انحراف في عقيدتها... ومما لا شكّ فيه أن اليهود وهم الشعب الذي تتجلى فيه الأنانية، دائماً يكرهون كل من سواهم، وموقفهم مع أنبيائهم ذكره القرآن الكريم في أكثر من موضع:

{ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون}[1].

فلا غرابة إذن أن نجد اليهود يقفون في وجه المسيح عليه السلام يعلنون له العداء، وهو نبي من أنبيائهم، لأنهم قد اعتادوا من قبل على مثل هذا الموقف، وبقي اليهود يناهضون دعوة المسيح عليه السلام، تلك الدعوة التي جاءت إليهم تردّهم عن ضلالتهم ومجاوزتهم الحد وتعود بهم إلى شريعة التوراة ورسالة موسى عليه السلام، وتحذرهم من الإنهماك في الدنيا، وتذكرهم باليوم الآخر بذلك الأسلوب الروحي الرائع، وهي جاءت لتخفف عنهم بعض أحكام التوراة، ومع ذلك فقد رفض اليهود هذه الدعوة، وما آمن معه منهم إلا قليل، وأغروا به الحاكم الروماني ليقتله بعد أن حكم مجلسهم عليه بالقتل، إلا أن الله تعالى أنجاه منهم حسب ما يقول القرآن.

وحاول اليهود من البداية اجتثاث الدعوة من جذورها إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك، فلجأوا إلى أسلوب الدس والتحريف ليصرفوا رسالة المسيح عليه السلام عن القصد الأساسي الذي جاءت به، ويجعلوا المسيحية دعوة عالمية، وكأن الأمر لا يخصّهم حتى يبقوا الشعب المتميز المختار.

القديس بولس وأثره على المسيحية

من خلال حديثنا عن أثر اليهود في انحراف النصرانية تبرز لنا شخصية لعبت دوراً بارزاً في تاريخ هذا الإنحراف، وأحدثت بلا شك انقلاباً شاملاً في المسيحية واستطاعت أن تؤسس ديانة تختلف تماماً عن المسيحية التي جاء بها المسيح عليه السلام.

تلك هي شخصية القديس بولس[2] ونظراً لأهمية هذه الشخصية وخطورتها في هذا الموضع لا بدّ لنا أن نتعرف على البيئة التي عاش فيها، ومدى تأثير تلك البيئة على الأفكار التي جاء بها، ثم نتعرف على نشأته، وثقافته، وقصة تحوله من اليهودية إلى النصرانية، وأخيراً لا بدّ لنا أن نعرف عقيدته وأفكاره ودوره في تطوير المسيحية، والحقيقة أننا ونحن نتحدث عن شخصية بولس إنما نتحدث عن المؤسس الحقيقي للمسيحية المعاصرة.

حياته

وسفر أعمال الرسل يفصّل لنا حياته، بل إن أعماله أخذت الجزء الأكبر من هذا السفر، فهو يتحدث فيه عن نفسه ويقول:

أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كيليكية، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدباً عند رجلي غمالائيل[3].

وغمالائيل من أحبار اليهود، عرفت مدرسته في القرن الأول الميلادي في القدس.

ويصرّح بولس بيهوديته أمام الجميع فيقول:

أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم.

ومن المدينة التي عاش فيها بولس تلقى ثقافته، ويحدثنا الأستاذ **شارل جيني بير** عن بيئة تلك المدينة وثقافتها فيقول:

كانت طرسوس مدينة نشطة، حلقة الإتصال بين هضبة آسيا الصغرى وبين الشام، ومفرق الطرق التجارية الهامة التي تجلب إليها سيلاً لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة. وحاول ملوك الشام أن يصبغوها بالصبغة الإغريقية غير أنها بقيت أساساً مدينة شرقية، وذلك على الأقل في مجال المعتقدات السائدة، وإن انتشرت فيها وازدهرت المدارس اليونانية، وقام بين رحابها ما يمكن أن نسميه اليوم بالجامعة، التي كانت سبباً لشهرة المدينة، وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسات الفلسفية[4].وفي هذا الوسط قضى بولس سنين شبابه، حيث تشبع بشتى الفلسفات المنتشرة هناك. والبيئة الثانية التي عاش بولس بها هي بيئة القدس بجوار غمالائيل أي بمدرسة من ألمع المدارس اليهودية في ذلك العصر[5].

قصة تحوله إلى المسيحية

يذكر الإصحاح التاسع من سفر الأعمال قصة التحول المفاجيء لبولس من اليهودية إلى النصرانية، فيقول:

أما شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم، وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول !! لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل[1].

---

[1]- سورة آل عمران: الآية 112.

[2]- ولد بولس في طوروس من أعمال كيليكية حوالي السنة العاشرة الميلادية وكان أبوه من الفريسيين (إحدى الفرق اليهودية الشهيرة) ونشأ ابنه على مبادىء هذه الشيعة الدينية المتحمسة، وكان والده مواطناً رومانياً، وأكبر الظن أن اسم بولس كان هو اللفظ اليوناني المرادف لاسمه العبري (شاول).

انظر قصة الحضارة، ول ديورانت: 249/11.

[3]- الأعمال: 2/23.

[4]- المسيحية، شارل جيني بير: ص 68.

[5]- نفس المرجع: ص 69.

[1]- الأعمال: 9/1-7.

ثم يذكر الإصحاح أنه نهض عن الأرض وهو مفتوح العينين لا يبصر ومكث كذلك ثلاثة أيام فلم يأكل ولم يشرب، وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا فأوحى إليه الرب أن يلتقي مع شاول، فوضع يديه عليه فأبصر، ووقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال، وقام واعتمد، وتناول طعاماً فتقوى، وكان شاول مع التلاميذ في دمشق أياماً، وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله، فبهت جميع الذين كانوا يسمعون[2].

فالقصة تذكر صراحة أنّ بولس كان يهودياً يعلن عداءه على المسيحية الناشئة ويضطهد أتباعها، وفجأة يتحول هذا العدو اللدود للمسيحية إلى مسيحي، بل واضع للاهوت المسيحية، ومنهم من يقول أن سر هذا التحول العجيب المفاجيء هو أن بولس وقد عجز عن محاربة المسيحية بالعنف والإضطهاد قرر أن يلجأ إلى سلاح الدس والتدمير الداخلي، فافتعل تلك القصة الخرافية الخارقة ليجعل منها وسيلة مناسبة لتبؤها مقصداً مناسباً له عند المسيحيين، والله أعلم،... ويظهر من خلال القصة كذلك كيف استغرب السامعون لبولس رأيه الجديد في المسيح، ووصفه له بأنه ابن الله، لأنهم سمعوا شيئاً لم يكن معروفاً عند المسيحيين، ولم يسمعوه من تلامذة المسيح عليه السلام، ومع ذلك فقد استطاع بولس أن ينفذ إلى أوساط الشعب في القدس، ويعمم أفكاره اللاهوتية الجديدة.

ولا شك أن هناك أوصافاً ومميزات لبولس ساعدته على تعميم فكرته وإقناع الجماهير بهذا الرأي الجديد، ومن أبرز ما تميّز به:

1. **الروح اليونانية:** فهو قد عاش في بيئة طرسوس فشرب فيها من الروح الإغريقية، وكان لذلك أثر كبير على أفكاره. يقول الأستاذ **جيني بير**:

عاش بولس في وسط يتحدث باليونانية ويستخدم كلمات مثل: الله، عقل، منقذ، منطق، روح، ضمير. فلم تكن هذه الكلمات غريبة عنه، وكان هذا الوسط يهتم بفلسفة معينة بقيت بعض أحكامها، والكثير من مصطلحاتها في ذهن داعية المسيحية[3].

2. **الديانة اليهودية:** فلقد تدرج بالثقافة اليهودية حتى منتهاها، وقد سبق أن ذكرنا أنه تربى على أعتاب الفيلسوف اليهودي غمالائيل في القدس، كما تشرب من اليهودية أسلوب الكيد والعمل في الخفاء.
3. **الجنسية الرومانية:** وهذه أعطته الجرأة، فبينما كان غيره يسجن ويضطهد، كانت هذه الجنسية ترفع عنه مثل هذا النوع من الإضطهاد.

اللاهوت المسيحي عند بولس

بعد دخول بولس في المسيحية بدأ يبعث برسائله إلى بلدان كثيرة، فكتب أربع عشرة رسالة، ومن خلال هذه الرسائل التي نسبت إليه نستطيع التعرف على عقيدته اللاهوتية.

ومن الواضح أن هذه العقيدة تختلف تماماً عن عقيدة النصارى التي جاء بها المسيح عليه السلام، يقول المؤرخ **ول ديورانت**:

ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح، أما أسس هذا اللاهوت فأهمها أن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، ولا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته[4]. وهذه هي فكرة الخطيئة الموروثة التي تعتبر إحدى عناصر العقيدة المسيحية الحاضرة. وهي فكرة جاء بها بولس من البيئة الفلسفية التي عاشها. والدراسة المفصلة لرسائل بولس الكبرى تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار يبدو لأول وهلة غريباً جداً، مزيج من الأفكار اليهودية، ثم من المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية[5].

فكانت آراؤه مخالفة لما عرفه الناس عن المسيح وحوارييه يقول الأستاذ **جيني بير**:

مع أن الحواريين الإثني عشر كانوا قد تملكتهم الحيرة في بدء دعوتهم عندما نظروا في النصوص المقدسة وكتب الأحبار فلم يجدوا كلمة واحدة تشير إلى إمكان قيام مسيح يعذب تعذيباً شائناً... كذلك أن موت عيسى في نظرهم ليس بالتضحية التكفيرية، بينما في عقيدة بولس أن المسيح مات من أجل خطايا البشر[1].

وأدخل بولس إلى المسيحية طقوساً كثيرة، وذلك تلاؤماً مع تلك البيئة التي لا تتصور ديناً بدون طقوس.

ومن هذه الطقوس التي أضافها بولس للمسيحية: فكرة التطهر، ومفهوم التضحية فقد أصبحت فكرة التطهر بالتعميد علامة الدخول بالمسيحية، وتضحية الرب بنفسه لأجل خطايا البشر توجد بين الأتباع وبين إلههم في نظرهم، وتبين أنهم جسم واحد أمامه، ومن هذه الطقوس أكل الخبز جماعة والشرب جماعة. يقول بولس في إحدى رسائله:

كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح، الخبز الذي نكسره فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد[2].

وفكرة الخطيئة الموروثة لم يكن اليهود يعرفونها، وجاء بها بولس من الفلسفات الوثنية، يقول الأستاذ **جيني بير**:

كانت ألقاب مثل سوتر المنقذ واليوثريوس المنجي تطلق على آلهة الوثنيين، وكان لفظ كريوي الرب الذي سمي به بولس المسيح، تطلقه الطقوس اليونانية السورية على الميت المفدى، ولم يكن في وسع غير اليهود من أهل أنطاكية وسواها من المدن اليونانية الذين لم يعرفوا المسيح بجسمه أن يؤمنوا إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقذين[3].

---

[2]- الأعمال: 10/9-22.

[3]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 262/11.

[4]- قصة الحضارة، ول ديورانت:264/11.

[5]- المسيحية، جيني بير: ص 70.

[1]- المسيحية، جيني بير: ص 91.

[2]- كورنثوس الأولى: 10/16-17.

[3]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 264/11-265.

ونستطيع أن نجمل إضافات بولس إلى المسيحية بنقاط هي:

1. جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم، ولو أدى ذلك إلى تساهله في بعض التشريعات التي كانت تضايق الوثنيين كالختان والسبت وتحريم الخنزير، فأبطل الختان ونقل العيد الأسبوعي ليوم الأحد **Sunday**[1] ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين، وأباح أكل لحم الخنزير.
2. إخراج المسيحية من البساطة اليهودية إلى تعقيدات الفكر اليوناني.
3. فكرة الخطيئة الموروثة وهي أن كل إنسان مذنب منذ ولادته لأنه يعتبر وارثاً لخطيئة آدم، وقد أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليكفّرعن خطيئة الناس بموته على الصليب فداء لهم.
4. أدخل بولس عقيدة الكلمة اللوجوس التي كان يقول بها فيلون اليهودي في الإسكندرية كما أدخل عقيدة التجسيد[4].

إلى غير ذلك من اصطلاحات وطقوس أدخلها بولس للمسيحية ويتضح تاريخها الوثني، وممارسة الوثنيين لما يماثلها من قبل. يقول صاحب قصة الحضارة:

إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة طقوسها[5].

لقد استطاع بولس صاحب الدراية في السياسة والإبتكار، تلك الصفة التي اكتسبها من يهوديته، استطاع أن يكون مسيحية جديدة على حساب المسيح عليه السلام، وينشيء لها عقيدة لا تمت لعقيدة المسيح عليه السلام بصلة، واستطاع أن يقنع الناس أن عيسى ابن الله. يقول **Berry** في كتابه **"الأديان العالمية"**:

لقد كوّن شاول المسيحية على حساب المسيح، فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية... وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة منهم، وأدخل صوراً من فلسفة الإغريق ليجذب إليه أتباعاً من اليونان، وعيسى أصبح ابن الله، حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي، واحتلّت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا حورس وأوزيريس، ووضعتا في كل الكنائس[6].

فهو لم يكن من الرسل إطلاقاً، ولا سمع المسيح يبشّر بدعوته، يقول ولز **Wells** في كتابه **"مختصر تاريخ العالم"**:

كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة، وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشّر الناس، أوتي عقلية عظيمة، وكان شديد الإهتمام بحركات زمانه الدينية، فنقل إلى المسيحية كثيراً من الأفكار[8].

وبعد هذا العرض السريع لحياة بولس وبيئته وثقافته وإضافته للمسيحية وأسلوبه في التزوير والتبديل يتضح لنا أن اليهود هم الذين دفعوه ليغيّر معالم المسيحية، ويجعلها ديانة جديدة منفصلة عن اليهودية مليئة بالأفكار الوثنية.

وإن المتمعّن في قصة تحوّل بولس إلى المسيحية التي رواها سفر الأعمال ليحس بهذه الحقيقة، فأسلوب الخداع الذي سلكه أسلوب عرف به اليهود في كل عصورهم، أسلوب النفاق والتكتم وعدم اطلاع غيرهم على حقائق الأمور، كما يصفهم الله تعالى:

{وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون، ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع دينكم}[1].

ولقد قارن الأستاذ **أحمد شلبي** بين موقف بولس هذا، وموقف عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وأشعل الثورات، ونشر من المبادىء الفاسدة ما كان يعجز عن عمل جزء قليل منه لو ظل على يهوديته، ولكن الفرق بينهما أن أفكار عبد الله بن سبأ لم تستطع أن تعيش وتنمو كما نمت أفكار بولس، ذلك لأن القرآن كان محفوظاً ومكتوباً وهو خير حارس للإسلام. أما إنجيل المسيح فضاع بين طيّات الأحداث فلم يكن للمسيحية عماد يحميها من هذه الصدمات العنيفة التي أنزلها بها أعداء من الداخل، وأعداء من الخارج فخرّت مسيحية المسيح، وقامت على أنقاضها مسيحية بولس[2].

وفي ذلك أيضاً يقول **الدكتور السقا:**

وبعد رفع عيسى إلى السماء اجتهد اليهود في ضياع دعوته ما وسعتهم قوتهم، إما بالسلاح وإما بالفكر، ولما كانوا عاجزين عن ضياع الدعوة بالسلاح ضياعاً كلياً لوقوعه تحت سيطرة الرومان، لجأوا إلى سلاح الفكر يلبسون به الحق بالباطل، ويحرّفون به الكلام عن مواضعه، تظاهروا بالنصرانية وبدأوا يفكرون فظهر منهم بولس وهو يهودي صميم[3].

ومن أبرز الأدلة على أن بولس بتحريفاته للمسيحية إنما انطلق من يهوديته: أن أول ما حرّفه من الإنجيل قضية تهم اليهود الذين يريدون للنبوة أن تقتصر على بني إسحاق، وهم يجدون في توراتهم البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

---

[1] **Sunday** First day of the week. Its English name and its German name (*Sonntag*) are derived from the Latin *dies solis*, "sun's day," the name of a pagan Roman holiday. In the New Testament (see Revelation 1:10) it is called the Lord's Day (*Dominica* in the Latin version), from which the name of Sunday is derived in Romance languages (French *Dimanche*; Italian *Domenica*; Spanish *Domingo*; Roman *Duminica*). In the early days of Christianity, Sunday began to replace the Sabbath and to be observed to honor the resurrection of Christ. Sunday was instituted as a day of rest, consecrated especially to the service of God, by the Roman emperor Constantine the Great.
Since the 4th century, ecclesiastical and civil legislation has frequently regulated work on Sunday and service attendance.
In the United States, laws limiting business activity and amusements on Sundays have become known as blue laws.

[4]- النصرانية والإسلام، المستشار محمد عزت طهطاوي.

[5]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 275/11.

[6]- انظر: الإسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي: ص 181.

[8]- الإسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي: ص 182.

[1]- سورة آل عمران: الآيتان 72، 73.

[2]- المسيحية، أحمد شلبي: ص 124.

[3]- أقانيم النصارى: السقا: ص 85.

ومنها ما ورد في الإصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون[4].

ومنها أيضاً:

جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران[5].

وسيناء إشارة إلى رسالة موسى حيث كلمه الله، وساعير إشارة إلى فلسطين حيث بعث الله عيسى عليه السلام، وفاران جبل بمكة إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم الخاتمة... وهذه البشارة يؤكدها القرآن الكريم بقوله:

{والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين}[6].

حيث يقسم الله تعالى بمواطن الرسالات الثلاث، بالتين والزيتون إشارة إلى أرض فلسطين الشهيرة بهاتين الشجرتين مشيراً بذلك إلى رسالة عيسى عليه السلام، وبطور سينين حيث كلم الله موسى عليه السلام، وبمكة البلد الأمين التي ابتدأ فيها الوحي يتنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فماذا كان عمل اليهود إذن حول هذه القضية؟ وكيف يمكنهم صرف النظر عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عند مجيئها وهم يعلمون أنه ليس منهم بل من أبناء اسماعيل؟

وإجابة لسؤالنا هذا يقول الدكتور السقا:

وبعد نهاية عيسى عليه السلام، وقد تأكد اليهود العبرانيون أن الإبن الذي أشارت إليه التوراة، وبشر به موسى بلفظ المسيا أو الإبن، آت من بعده ولن يكون البتة من آل داود، ادعوا أن الإبن هو عيسى، وما كانوا له بعارفين، وغيروا نسب عيسى عليه السلام من هارون من جهة الأم إلى داود من جهة يوسف النجار خطيب أمه مريم، وذلك لقصر النبوة على بني إسحاق إلى الأبد، وتشكيك الناس في النبي الآتي من ولد اسماعيل[7].

ولقد كان بولس أول المجندين لهذه المهمة، مهمة مسخ النصرانية وتحريفها عن أصولها، حتى تعود ديانة لا تتفق مع العقل ولا مع الوحي، فأبدل توحيدها تثليثاً وصفاء عقيدتها فلسفة وثنية.

اليهود والتثليث

وقد يسأل سائل... من أين جاء اليهود بعقيدة التثليث؟ مع أن توراتهم لا تعرف التثليث، وإنما نادت بتوحيد الله تعالى.

عن هذا التساؤل يجيبنا **الأستاذ السقا** فيقول:

واليهود زمن وجودهم في بابل من سنة 586 ق.م كانوا قد اطلعوا على عادات أهل بابل وتقاليدهم وعلى أديانهم ومعتقداتهم، ولما رجعوا إلى بلادهم نقلوا معهم أفكاراً كثيرة اقتبسوها من بلاد بابل ومن بلاد فارس، ومن هذه الأفكار عقيدة التثليث، هذه العقيدة هي التي ذكرتهم أن يجعلوا المسيح هو الآب والإبن والروح القدس كذباً.. والسبب الذي جعل اليهود يفكرون في تأليه الآب والإبن والروح القدس، هو أن الله عز وجل قد أعطاهم النبوة والكتاب، وأرشدهم أن نبياً سوف يأتيهم من ذرية اسماعيل، وإذا جاء يؤمنون به وينصرونه، ولما علموا أن زمنه قد اقترب، وأنه إذا جاء سيكون به النفوذ عليهم، حاولوا تشكيك الناس في اسمه وبلده ونسبه وأوصافه وزمن مجيئه، وفكروا بطريقة تشوش هذه الفكرة، لقد علموا أن الله واحد لا شريك له، وعلموا أن عيسى عليه السلام عبّر عنه بأنه "بيركليت"[1]. وجعلوا كلمة المعزي بدل "بيركليت"[2].

وهكذا وضع اليهود أساس هذه العقيدة المنحرفة التثليث، مستمدين أفكارها من الوثنية في بابل وفارس، ومتأثرين بما ينتشر حولهم من فلسفات يونانية رومانية، ووجدت دعوتهم هذه آذاناً صاغية من الوثنيين الذين يعيشون في الدولة الرومانية، لأن هذه الأفكار ليست بعيدة عن أذهانهم، فهم يعايشون الوثنية، ويعرفون تصوراتها وما هذه العقيدة ببعيدة عنها علماً بأن مختلف آراء بولس هي آراء الفكر الوثني اليوناني الذي تطور على أيدي أفلاطون ثم فيلون اليهودي[3].

هذا ما فعله اليهود في نهاية القرن الأول لميلاد النصرانية، ونجح اليهود في مخططهم، ونمت بذرة الإنحراف الشريرة التي بذرها بولس ووجدت لها تربة خصبة في الأرض الوثنية الرومانية، وظلت اليهودية ترقب من بعيد المآسي التي خلفتها تلك البذرة على المسيحية قروناً طويلة من حروب طاحنة، نشأت نتيجة الإختلاف في تلك التفسيرات التي ابتدأ بها اليهود، ومن افتراق في وجهات النظر أنشأ فرقاً كثيرة وانقسامات متعددة، حتى إن المسيحية ما عاد لها ذلك الكيان المستقل الذي تتميز به الديانة عادة.

ولم يلق اليهود السلاح، فهم لا يزالون يعملون في الخفاء على تحريف كتب النصارى وأناجيلهم، كلما دعت حاجتهم لذلك، ولا يزال التحريف يقع من اليهود على كتب المسيحيين، حتى هذه الأيام. والعجيب أن الفاتيكان يعترف إلى حدّ كبير بموقف بولس من المسيحية وعدم حرصه عليها.

---

[4]- التثنية: 15/18.

[5] – التثنية: 33:2

[6]- سورة التين: الآيات 1-3.

[7]- انظر: الإسلام أمام افتراءات المفترين توفيق علي وهبة: ص 30، من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض 1398هـ.

[1]- بيركليت: كلمة يونانية بمعنى الذي يحمد كثيراً، وتنطبق على اسم الرسول صلى الله عليه وسلم (أحمد).

[2]- أقانيم النصارى، السقا: ص 87.

[3]- الإسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي: ص 191.

فقد جاء في **كتاب نشره الفاتيكان** سنة 1968م بعنوان **"المسيحية عقيدة وعمل"** مايلي:

كان القديس بولس منذ بدأ المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع المسيح[4].

وهناك وثائق كثيرة تثبت أن اليهود قد تدخلوا في تحريف كتب النصارى منذ البداية، وقلبوا المسيحية سافلها عاليها.

وقد نقل لنا الأستاذ **زهدي الفاتح** في كتابه اليهود بعض هذه الوثائق، ومنها ذلك الخطاب المفتوح إلى نصارى العالم، والذي نشرته مجلة (**Century**) الأميركية في عدد كانون الثاني- شباط 1928، بقلم الكاتب اليهودي **ماركوس إيللي رافاج**، وهذه مقتطفات منه:

"إنكم مستاؤون منا، لكنكم لا تستطيعون أن تعبروا بوضوح عن سبب استيائكم.. إنكم تتهمونا بأننا صانعوا الثورة البلشفية في موسكو، افترضوا أننا نقرّ هذه التهمة فما البأس؟... إنكم تثيرون الصخب حول النفوذ اليهودي الذي تقولون إنه لا مبرر له في مسارحكم ودور السينما عندكم... ولكن ما قيمة النفوذ إذا ما قورن بنفوذنا الماحق في كنائسكم، في مدارسكم، في قوانينكم، في قلب حكوماتكم، بل وفي الأفكار التي تتداولونها خلال يومكم، لم تبدأوا بعد بإدراك العمق الحقيقي لإثمنا، نحن متطفلون دخلاء، نحن مدمّرون، لقد شوّهنا عالمكم السّوي، ومثلكم العليا، ومصيركم، فهل علينا العبث بها جميعاً تدميراً وتخريباً؟... فهل من عجب أن تستاؤوا منا! لم لا تستاؤون منا وقد وضعنا العوائق في طريق أقدامكم، وفرضنا عليكم كتاباً وديناً غريبين عنكم، لا تستطيعون هضمهما وبلعهما، فهما يتعارضان كلية مع روحكم الأصلية، فشتتنا أرواحكم تماماً، وجعلنا سبل تطوراتكم مرتبكة وشللنا تطلعاتكم"[5]. ما أوقحهم!

ومما نشرته **المجلة الأمريكية** أيضاً من تلك الوثيقة:

"إنكم أيها المسيحيون لا تنقمون على اليهود لأنهم صلبوا المسيح بل لأنهم أنجبوه.. إن نزاعكم الحقيقي مع اليهود، ليس لأنهم لم يتقبلوا المسيحية، بل لأنهم فرضوها عليكم. فهل من عجب أن تستاؤوا منا؟.. إنكم أيها المسيحيون تتهمونا بإشعال نار الثورة البلشفية التي لا تعدو أن تكون نقطة في بحر الثورة التي أشعلها بولس اليهودي في روما"[6]".

وقد نشرت **مجلة كاثوليك غازيت** عدد شباط 1936 م شيئاً من الخطابات التي ألقيت في مؤتمر مجمع البناي بريث اليهودي الذي انعقد في باريس، ومما جاء في تلك الخطابات:

دعونا نوضح لكم كيف مضينا في سبيل الإسراع بقصم ظهر الكنيسة الكاثوليكية، فاستطعنا التسرب إلى دخائلها الخصوصية، وأغوينا البعض من رعيتها كهنتها الداخليين، ليكونوا رواداً في حركتنا، ويعملون من أجلنا، أمرنا عدداً من أبنائنا بالدخول في جسم الكاثوليكية مع تعليمات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قبلها... ونكون بذلك قد عملنا بنصيحة أمير اليهود الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبناءكم يكونون كهنة ورعاة أبرشيات فيهدمون كنائسهم.. ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني المسيحية، فـ (كلفن) (John Calvin) كان واحداً من أولادنا يهودي الأصل، أمر بحمل الأمانة فنفذ مخطط الإصلاح الديني، كما أذعن (مارتن لوثر) لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضاً نجح برنامجه ضدَ الكنيسة الكاثوليكية بإرادة المسؤولين اليهود وتمويلهم[1].

ولقد قدّر لليهود أن يتغلغل نفوذهم اليوم في كل ناحية من نواحي حياة المسيحيين في الغرب حتى المؤسسات التعليمية منها.

وقد اهتم اليهود في هذا القرن بقضية حرصوا على محوها من كتب النصارى وهي مسألة صلب المسيح، فإن الأناجيل المتداولة تحوي نصوصاً كثيرة تثبت أن أيدي اليهود ملطخة بدم المسيح وعليهم مسؤولية قتله، سواء أكان على مستوى مجلسهم الأعلى "السنهدرين" الذي أقرّ صلب المسيح، وقدمه للحاكم الروماني لتطبيق العقوبة، أم كان على مستوى الشعب الذي صاح بأعلى صوته مؤيداً صلبه، حينما سألهم بيلاطس:

فماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح، قال له الجميع: ليصلب[2]. ولما كان الصباح، تشاور جميع رؤساء الكهنة، وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه إلى بيلاطس النبطي الوالي[3].

هذه النصوص من شأنها أن تغذي الحقد المسيحي على اليهود، فقرر اليهود بذل جهودهم لتغيير هذه النصوص وتحريفها، وبدأوا باتصالاتهم مع رجال الدين المسيحيين حتى يحصلوا على وثيقة مسيحية تبرّىء اليهود من دم المسيح، واستغل اليهود نفوذهم في المجتمع الغربي، كما استغلوا تفرق النصارى واختلاف طوائفهم، واستطاعوا تحقيق انتصارات تدريجية في هذا المضمار.

جاء في التقرير السنوي الذي قدمته **الجمعية الأميركية اليهودية** سنة 1952 م ما يلي:

إن الإنتصارات التي حققناها في السنوات الماضية من سنة 1950م أزالت كل إشارة معادية في الكتب الدينية المسيحية، وكتب التدريس، لا سيما فيما يتعلق منها بقضية الصلب، فبفضل جهودنا أصبح 58 % من الكتب البروتستانتية خالياً اليوم من العبارات العدائية المحقرة لليهود، وقد توصلنا إلى نتائج مماثلة في الكنائس الكاثوليكية إلا أن ذلك على نطاق أضيق[4].

4- المسيحية، أحمد الشلبي: ص 125.

5- انظر كتاب: اليهود، زهدي الفاتح: ص 150- 154، الطبعة الأولى 1392هـ.

6- انظر كتاب: معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير، إبراهيم سليمان الجبهان: ص 98- 99، الطبعة الثانية 1398هـ.

1- اليهود، زهدي الفاتح: ص 111، الطبعة الأولى 1392.

2- متى: 22/27.

3- متى: 27/1-2.

4- اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، إيليا أبو الروس: ص 11، الطبعة الأولى- بيروت 1964م، منشورات دار الإتحاد.

هذا بعض ما أنجزه اليهود في الخمسينات حول هذه القضية أما الستينات فقد كانت حافلة بجهودهم وانتصاراتهم، وأهم إنجاز حصلوا عليه **وثيقة التبرئة** التي تبرّىء اليهود اليوم من دم المسيح، وقبل هذه الوثيقة قاموا بعدة محاولات منها تحريف الإنجيل، وإقناع بعض رجال الدين من النصارى حول مسألة الصلب هذه.

وفي العدد (يناير- مارس) 1961 من مجلة "**نور الحياة**" التي يصدرها **الأستاذ جرمانوس لطفي** في القاهرة مقال له بعنوان "**الصهيونية تحرّف الإنجيل**" جاء فيه:

جرت في السنين الأخيرة، محاولات كثيرة لتحريف الكتاب المقدس، وكان أهمها مستوحىً من الحركة الصهيونية، التي ما فتئت تعمل سراً وعلانية على هدم المسيحية وسائر الأديان الأخرى... ومن أعوام عقد في مدينة (سيليربرنج) في سويسرا مؤتمر اشترك فيه بعض رجال البدع المسيحية الجديدة المتطرفة مع فريق من ممثلي الهيئات الدينية اليهودية، وقرّر المجتمعون مكافحة أعداء اليهود في العالم المسيحي، وحذف الآيات والفصول الواردة في الأناجيل، بنوع أخص التي تصف اعتداء اليهود على السيد المسيح وصلبه، لكي لا تطلع الناشئة في الأجيال القادمة على قصة العدوان اليهودي على المسيح والمسيحية، وقرّروا طبع الكتاب المقدس المعدّل وفق قرار المؤتمر... [5].

إن مجرد انعقاد مثل هذا المؤتمر ليضم إلى جانب الحاخامات اليهود مجموعة من القساوسة ورجال الدين من النصارى للمفاوضة على قضية يعتبرها النصارى ركناً أساسياً من أركان عقيدتهم، يدل في الحقيقة على عمق النفوذ اليهودي في المجتمعات الغربية المسيحية، وإن كانت تدل أيضاً على عدم اقتناع النصارى بعقيدتهم، فسهل عليهم التنازل عن ركن من أركانها، والموافقة على امتداد يد التحريف على الكتاب المقدس عندهم. وهذا أيضاً يدل على إمكانية امتداد يد التحريف على كتب النصارى في كافة العصور، ما دام رجال الدين أنفسهم يوافقون على ذلك. وبقي اليهود يتدرّجون في استصدار مثل هذه القرارات حتى توصلوا إلى قرار أخيراً يبرّىء اليهود من دم المسيح.

وثيقة التبرئة

لقد حرص اليهود على الحصول على أخذ البراءة من أعلى مصدر مسيحي، وبقيت جهودهم متواصلة حتى توصلوا إلى عقد **مؤتمر الفاتيكان الثاني**: وهو ذلك المجمع المسكوني أو المؤتمر الديني العالمي للكنيسة الكاثوليكية، والذي عقد في الستينات من هذا القرن... ويعتبر هذا المؤتمر من الأحداث الهامة في القرن العشرين، إذ كان الغرض الرئيسي الذي عقد من أجله هو تحقيق الوحدة الدينية بين المذاهب المسيحية المختلفة[1].

وعقد المؤتمر تحت هذا الهدف، ولم يشر عند الإعلان عنه إلى قضية التبرئة مطلقاً، وحرص اليهود أن يضم هذا المؤتمر مندوبين عن كل الطوائف المسيحية وفعلاً ضم 2851 مندوباً عن الكنائس الأخرى من البروتستانت والكاثوليك[2]. وافتتح هذا المؤتمر في أكتوبر سنة 1962 م ليبدأ بحث موضوعاته في دورات أربع[3]. وقد عرض على المجمع المسكوني في دورته الثانية التي عقدت سنة 1963 م الباب الخاص بعمومية الكنيسة، وقد وافق عليه الأعضاء ولم يكن في هذا الباب أية إشارة لموضوع تبرئة اليهود من دم المسيح... إلا أن الأعضاء فوجئوا في الثامن من نوفمبر سنة 1963 م بوثيقة توزع عليهم بإمضاء الكاردينال الألماني "بيا" رئيس سكرتاريا المجمع، ومعها اقتراح بضمها إلى الباب الخاص بعمومية الكنيسة. وفيما يلي أهم عناصر الوثيقة في صورتها التمهيدية:

إن الكنيسة لا يمكن أن تنسى أنها استمرار لذلك الشعب الذي تفضل الله عليه برحمة واسعة في يوم من الأيام بتحقيق عهده القديم، وتضع الكنيسة نصب عينها دائماً ما قاله بولس الرسول في شأن اليهود: الذين هم إسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والإشتراع والعبادة والمواعيد[4]. ومن الواجب أيضاً أن نذكر أن اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة هو جزء من الأمل المسيحي، والواقع أن الكنيسة حسب تعاليم بولس الرسول، تفتح بعقيدة متينة ورغبة أكيدة في وجه ذلك الشعب باب الدخول في سلطان الله كما وطّده المسيح. لهذا يجب على الجميع عند تلقي الدين المسيحي أو نشر كلمة الله عدم إظهار الشعب اليهودي كأنه ملعون، أو القيام بما يباعد بين الناس وبين اليهود، ويجب بالإضافة إلى ذلك أن نحرص أشد الحرص ألا نعزو إلى يهود عصرنا ما ارتكب من أعمال أيام المسيح[5].

وفي اليوم التالي لبدء المناقشات إذا بالكاردينال "بيا" يقدم بنفسه التقرير الخاص بفصل التبرئة، قبل أن يصل الأعضاء إليه، وكان مما قاله:

كيف يمكن اتهام اليهود بقتل الرب؟ وحتى في ذلك الوقت، فإن أغلبية الشعب لم تعرف شيئاً عما كان يحدث، وقد رفض أحد أعضاء "السنهدرين" الموافقة على القبض على المسيح، كما كان القادة مترددين في الإشتراك في هذا الفعل، وكذلك فإن من المستحيل اتهام اليهود بقتل الرب[6].

هذا بعض ما جاء في هذه الوثيقة التي قدمت لأعلى مرجع عند النصارى، تطلب الموافقة على تبرئة اليهود من دم المسيح، ويتقدم بها أحد كبار الكرادلة عندهم. وهذا يستلزم الإستغناء عن عشرات النصوص المدونة في أناجيلهم، ولا شك أن هذا الإقتراح لم يحظ بالتأييد الكامل من أعضاء المؤتمر، بل لقي معارضة من داخل المجتمع، ومن خارجه، مما اضطرهم إلى تعديل الوثيقة، وأقر المجمع الفقرة التي تنفي المسؤولية الجماعية لصلب المسيح عن اليهود... وفي جلسة رسمية سنة 1965م أصدر **البابا بولس السادس** البيان الذي أصبح جزءاً من التراث الكاثوليكي، واشتهر باسم **وثيقة التبرئة**[7].

---

[5]- اليهودية العالمية، إيليا أبو الروس: ص 18.

[1]- إسرائيل حرفت الأناجيل والكتب المقدسة، المهندس أحمد عبد الوهاب: ص 21 مكتبة وهبة- القاهرة، الطبعة الأولى 1972م.

[2]- نفس المرجع: ص 22.

[3]- نفس المرجع: ص 22.

[4]- رومية: 4/9.

[5]- إسرائيل حرفت النلجيل، أحمد عبد الوهاب: ص 23.

[6]- نفس المرجع: ص 24.

[7]- نفس المرجع:ص 34.

وبهذا حصل اليهود على هذه الوثيقة من البابا نفسه، يشهد فيها أن الشعب اليهودي المعاصر لا شأن له بقضية الصلب، وحتى الشعب اليهودي أيام المسيح لا يدان كله، واكتفى اليهود مؤقتاً بهذا القدر من التنازل حتى يتمكنوا من استصدار وثيقة أخرى تبرّئهم تماماً فيما بعد. ولذلك فإن اليهود لم يقفوا عند هذه الوثيقة، بل راحوا ينشرون هذا الرأي في كل مكان، في بريطانيا نشرت الصحف ووكالات الأنباء العالمية رسالة خطيرة للدكتور **مايكل رامزي** رئيس أساقفة "كانتربري" جاء فيها:

إنه من الخطأ الإنحناء باللائمة على اليهود في صلب السيد المسيح، وقد نشرت الصحف أن توجيه هذه الرسالة كان استجابة لطلب المجلس الرعوي للتفاهم المسيحي اليهودي في العاصمة البريطانية[8].

وكان من الطبيعي للإعلام اليهودي الذي يسيطر على الإعلام الغربي أن ينشر مثل هذه الرسالة في كل وسائل الإعلام، لأن اليهود هم وراءها منذ البداية. وقد تصدى للرد على هذه الرسالة القس "**عقل عقل**" الرئيس الروحي للكنيسة الإنجليكانية الأسقفية العربية في عمان في 24 آذار 1964م، ونقلت ذلك وكالات الأنباء وكان مما قاله:

... إن تصريحات الدكتور مايكل رامزي محاولة رخيصة للدعاية الصهيونية لرفع لعنة صلب السيد المسيح عن اليهود... وقال: إننا ندرك نحن المسيحيين العرب، مقدار تغلغل الصهيونية في مرافق المجتمع الغربي، ومدى تسلطها على عقول المسيحيين الغربيين، وأنه ليعز علينا أن يصل هذا التغلغل المرتجل إلى أكثر من عرين للديانة المسيحية في الغرب[1].

ويذكر الأستاذ **أحمد عبد الوهاب** أن اليهود أصدروا بعد وثيقة التبرئة طبعة محرفة لأسفار العهد الجديد عن دار النشر اليهودية بالقدس سنة 1970، وتقوم بتوزيعها في لندن وكالة "**ريد**"، وقد اطلع الأستاذ **أحمد عبد الوهاب** على هذه النسخة، وأحصى التحريفات التي وردت فيها، وذكر هذه التبديلات في كتابه، ويقول:

إن أغلب هذه التحريفات قد أدخل على قصة الصلب بهدف إبعاد المسؤولية عن اليهود، وإلقاء الشبهة على رعاع ذلك الشعب، والطبقة الدنيا منه كما أن ثورة أولئك الرعاع ضدّ المسيح لم تكن تبغي صلبه، وإنما كانت تطالب بإبعاده والتخلص منه بصورة أو بأخرى[2].

والخلاصة أنه لا يهمنا أن يبرأ اليهود من دم المسيح، أو لا يبرؤوا، فنحن نعتقد حازمين أن اليهود لم يصلبوا المسيح ولم يقتلوه لأنه أصلاً لم يصلب، ولم يقتل، مع أنهم بلا شك حاولوا قتله، وقرروا صلبه، لكن الله تعالى أنجاه منهم فباؤوا بلا شك بإثم الجريمة التي عزموا عليها، ولم يستطيعوا تنفيذها.

{وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيماً}[3].

والذي يهمنا بالدرجة الأولى من هذه الوثيقة وغيرها من قرارات رجال الدين من النصارى: الإستدلال من خلالها على النفوذ اليهودي في العالم المسيحي، واستطاعة اليهود التحريف والتبديل في أسفار النصارى المقدسة.

وإنك إذا أمعنت النظر ببعض نصوص وثيقة التبرئة، وجدت الصلة واضحة بين رجال الدين اليوم وبين بولس الذي رمى بذرة الإنحراف في النصرانية، فنمت هذه البذرة أولاً في المجتمعات الرومانية الوثنية، لأنها لقيت تربة خصبة في أرضها، وظلت البذرة تنمو حتى آتت أكلها على يد أتباع بولس بعد تسعة عشر قرناً من الزمان، والوثيقة نفسها تشهد بذلك، فهي تذكر النصارى أولاً بتعاليم بولس ووصاياه التي يحثّ فيها على آبائه اليهود.

---

[8]- اليهودية العالمية، إيليا أبو الروس: ص 13.

[1]- نفس المصدر: ص 14.

[2]- إسرائيل حرفت الناجيل، أحمد عبد الوهاب: ص 57.

[3]- سورة المائدة: الآيتان 157، 158.

نشأة الكنيسة / النظام الكنسي

ولدى مراجعتنا للمراجع التي تحدثت عن هذا الموضوع فإننا **لم نجد أحداً من النصارى قال بأن نظام الكنيسة عرف زمن المسيح عليه السلام**، كما أن النصوص الإنجيلية لم تنسب قط إلى المسيح تعبيراً يدل على الكنيسة، إلا في مناسبة واحدة وردت في إنجيل متى:

أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي[1].

ومع استغلال رجال الدين النصارى لهذا النص الذي يستشهدون به على أنه كان في نية المسيح بناء كنيسة أو أنه أمر بذلك، إلا أن هذا النص بحدّ ذاته، لا يدل على الكنيسة بمعناها المعروف وإنما يشير إلى الثقة التي أعطاها المسيح عليه السلام لتلميذه بطرس ويشير إلى أن دعوته ستقوم وتنتصر بين الناس على أكتاف المؤمنين بها المخلصين أمثال تلميذه بطرس، فهو أراد أن يمتدح تلميذه بطرس فأعطاه لقب الصخرة كناية عن الثبات والصمود. والله أعلم.

إن دعوة المسيح عليه السلام خاصة لبني إسرائيل وهي من البساطة واليسر بحيث لا تحتاج إلى المناصب الكثيرة وإلى هذا الجهاز الضخم من الكرادلة والمطارنة والأساقفة والبطاركة والشمامسة، وغير ذلك من ألقاب ما عرفها المسيح ولا سمع بها. المسيح لم يرد الكنيسة الحالية ولا الحواريين.

ومع بداية القرن الرابع تتغير الأحوال، يقول الأستاذ **جيني بير Jenny Bear**:

إذا تأملنا المسيحية في مقتبل القرن الرابع، فإنه يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين، فبدلاً من جماعة محدودة من اليهود لا يفرق بينهم وبين باقي أمتهم سوى أمل خاص.. بدلاً من ذلك نجد مجتمعاً دينياً واسع النطاق يدخل فيه، دون تمييز لجنس أو لطبقة معينة، كل من يرى في نفسه القدرة الكافية، مجتمعاً يدرك تماماً أنه يشكل وحدة متكاملة، وأنه هو الأمة المختارة أي كنيسة المسيح[2].

والأستاذ **جيني بير** يتحدث إلينا عن تطور فكرة الكنيسة، وكيف نمت هذه الفكرة مع بداية القرن الثاني، حتى تجلت واضحة في بداية القرن الرابع. فهو يقول:

إن المسيح لم ينشىء الكنيسة ولم يردها[3]، ويؤكد هذه الحقيقة فيقول: ولعل هذه القضية أكثر الأمور المحققة ثبوتاً لدى أي باحث... إن عيسى كان يترقب حلول مملكة الله الوشيك، ومن شأن هذا الأمل أن ينفي من منطقه كل فكرة تتعلق بالتنظيم الدنيوي لأتباعه[4].

وهكذا يمضي عهد المسيح عليه السلام دون أي تفكير بإنشاء مؤسسة الكنيسة، ولقد كان الحال كذلك في عهد حوارييه كذلك لم ينشئوا كنيسة قط،

يقول الأستاذ **جيني بير**:

وإذا قلنا بأن المسيح صرّح للحواريين الإثني عشر بسلطة ما، وهذا محل جدل حتى اليوم، فمما لا شك فيه أن الأمر لم يتعدى منحهم بعض ما أوتي هو من سلطان في التبشير بالتوبة، وبحلول مملكة الله، ولم يصنع منهم قساوسة حيث لم يكن في حاجة إلى ذلك، وعلى أي حال فإننا عندما ندرس أعمال الحواريين لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسة[5].

أضف إلى ذلك أن الحاجة لإنشاء الكنيسة لم تنشأ إلا عندما أريد للمسيحية أن تنتقل إلى العالم اليوناني الروماني،

وكما يقول الأستاذ **جيني بير**:

يمكن القول بأن فكرة الكنيسة نشأت عن انتقال الأمل المسيحي من فلسطين إلى ربوع العالم اليوناني، وأيضاً إذا شئنا عن تطور هذا الأمل إلى العالمية [6]. وقد عرفنا أن الذي قوّى هذا الأمل، ونادى بعالمية المسيحية هو بولس، وفكرة بولس هذه نمت، ونجحت في القرن الثاني، ونعتقد أيضاً أننا إذا وقفنا على أعتاب القرن الثاني لنتأمل المسيحية سوف نجد أن فكرة بولس الخاصة بوحدة المسيحيين جميعاً في الله قد ثبتت تمام الثبوت[7].

هكذا بدأت الفكرة، ويشير الباحثون إلى أن نظام الكنيسة، وسلطة رجل الدين قد بدا واضحاً في القرن الرابع، حيث عدّ بابا روما رئيساً للكنائس كلها، وقد أصبح للبابوات نفوذ ضخم مع تدهور الإمبراطورية في الغرب[8].

---

[1]- متى: 16/ 18.
[2]- المسيحية: شارل جيني بير: ص 126- 127.
[3]- نفس المرجع: ص 130.
[4]- نفس المرجع: ص 130.
[5]- نفس المرجع: ص 130.
[6]- المسيحية، شارل جيني بير: ص 131.
[7]- نفس المرجع: ص 133.
[8]- الإسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي: 208.

ويشير المؤرخون إلى أن أقدم كنيسة هي كنيسة بطرس في روما، ولقد افترقت الكنائس تبعاً لافتراق النصارى، ولكل فرقة من الفرق الثلاث المعروفة اليوم كنيسة تعتبر أماً للكنائس المنتشرة في كثير من أقطار العالم. والكنيسة الكاثوليكية هي كبرى كنائس العالم وهي ذات التاريخ الطويل في الدين والسياسة، وهي التي حملت لواء الحروب الصليبية، وحملت لواء محاكم التفتيش.

المجامع وأثرها في انحراف المسيحية الحقيقية

لنرى هنا كيف بدأت المسيحية بالتغير وما هو مصدر التغير؟

إن مصدر التغير الأساسي للنصرانية هي المجامع التي عقدت، إن كل مجمع منها ما عقد إلا:

1. لمعاجة مشكلة.
2. أو مناقشة قضية كثر فيها الجدل واحتدم فيها الصراع، ونشأ عنها الخلاف الطويل بين رجال الكنيسة أنفسهم ومن اللحظة الأولى التي ابتدأت فيها المسيحية بالإنحراف عن عقيدتها الأصلية الموحدة على يد بعض رجال الدين الذين تلبسوا بالمسيحية، من تلك اللحظة بدأ الخلاف واحتدم الجدل حول أهم أركان العقيدة النصرانية، وهو ركن الألوهية والتوحيد، وبينما كان الجيل الأول من النصارى لا يعرف غير التوحيد الخالص لله تعالى، توالت أجيال من بعده احتكت بالفلسفة الإغريقية وبالوثنية الرومانية، وأصبحت تلك النظريات الفلسفية، تشكل قواعد اللاهوت المسيحي، ومن الطبيعي أن لا يتفق الناس جميعاً على الباطل والإنحراف... وحتى المتفوقون على الباطل، لا بدّ لهم أن يختلفوا لأن سبل الباطل متشعبة إذ قام النصارى بين مؤيد للوحدانية والتثليث:

{وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}[1].

وتعددت الآراء حول قضية الألوهية وطرحت عند النصارى فكرة تأليه المسيح عليه السلام تلك الفكرة التي نشأ حولها الصراع الدامي الطويل بين النصارى، وانقسم النصارى بين مؤيد للفكرة ومعارض لها، يقول الأستاذ **محمد فريد وجدي**:

كانت الكنائس النصرانية في الجيل الرابع متوزعة بين حزبين، أحدهما يقر بالهية المسيح والآخر ينكرها[2].

ولا شك أن كل حزب من هذين الحزبين، كان يحتوي فرقاً متعددة، ونحن لن نحاول استقصاء الفرق، والآراء التي ظهرت حول طبيعة السيد المسيح، ولكننا نتحدث عن أهم تلك الفرق، أو بالأحرى ذات الأثر الكبير في تاريخ النصرانية، وسنسلط الأضواء على الفرق الموحدة التي عارضت موجات الإنحراف، ومن خلال حديثنا عنها سنرى موقف رجال الكنيسة المعارضين لهم، وبذلك يظهر لنا دورهم في إقرار الإنحراف.

الحركة الآريوسية

وأبرز الفرق التي عارضت تأليه المسيح، فرقة الآريوسيين التي يعتبرها النصارى فرقة خارجة عن النصرانية، ويعتبرون حركتها أخطر حركة في تاريخ الكنيسة، ويصفونها بالهرطقة[3].

يقول **ول ديورانت**:

أثناء حكم قسطنطين شهدت الإسكندرية قيام أخطر حركة إلحادية في تاريخ الكنيسة، ذلك أن قسّاً مصرياً تقدم إلى أسقفه حوالي عام (318 م) بآراء غريبة عن طبيعة المسيح[4].

عقد مجمع نيقيا لمعالجة أفكار آريوس

ونحن هنا سنقف قليلاً مع آريوس[5] لنتعرف على نشأته وأفكاره ونسير معه إلى مجمع نيقية سنة 325م باعتباره ما عقد إلا لأجله، وسنرى من خلال رحلتنا هذه كيف قضى رجال الدين المنحرفون على هذه الحركة بسلطتهم الدينية، تعاونهم سلطة الإمبراطور التي تدخلت فعلياً لإقرار الإنحراف، والقضاء على الحركة الأريوسية،

---

[1]- سورة الأنعام: ص 153.

[2]- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي: 10/ 203.

[3]- الهرطقة أو الأرطقة كلمة يونانية من (artic) بمعنى الكفر تطلقها الكنيسة الكاثوليكية على كل مخالفيها.

[4]- قصة الحضارة، ول ديزرانت: 392/11.

[5]- آريوس: ولد في ليبيا القيروان سنة 270م ودخل في شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ثم رشحه البابا (بطرس) بطريرك الإسكندرية شماساً سنة 307م ثم قساً وواعظاً وكان ذكياً فصيحاً.

انظر: تاريخ الأقباط، زكي شنودة: 150/1، الطبعة الثانية سنة 1968م.

وبذلك انتصرت الكنيسة الكاثوليكية، وأقرّت التثليث الذي فرض على النصارى، فقضت على الموحدين، وأحرقت كتبهم، وما بقي للأجيال سوى عقيدة التثليث التي يؤمن بها النصارى على اختلاف فرقهم.

والمراجع المسيحية كلها تتحدث عن آريوس عند حديثها عن الزندقة والإلحاد في المسيحية، لذلك فإن كتبه ورسائله التي بين بها آراءه قد حكم عليها بالإعدام، فلم يصلنا منها شيء، ولولا ما دوّن عن أخباره وآرائه في الكتب التي ردّت عليه لما عرفنا عنه شيئاً.

صفات آريوس

ونحاول أن نتتبع صفات آريوس لنتعرف من خلالها على شخصيته، يقول الدكتور **أسد رستم**:

وكان آريوس فيما يظهر عالماً زاهداً متقشفاً يجيد الوعظ والإرشاد فالتف حوله عدد من المؤمنين، وانضمّ إليه عدد كبير من رجال الإكليروس الذين وجدوا في وعظه غذاء للنفوس فآثروا الإصغاء إليه[1].

هذا ما وصفه به المؤرخ الدكتور **أسد رستم**، وهو مسيحي بل هو مؤرخ كنيسة أنطاكية.

ويصفه مؤرخ كاثوليكي وصفاً كريماً فيقول:

كان آريوس طويل القامة نحيل الجسم، وذا مظهر تبدو فيه آثار خشونة العيش، وكان معروفاً بأنه من الزهّاد، وكان له بين رجال الدين عدد من المؤيدين[2].

وبناء على ذلك فإن آريوس نشأ في بيئة مسيحية خالصة، درس اللاهوت في الإسكندرية منذ ريعان شبابه، واهتم بالمسائل الدينية، وعرف بالتقوى والزهد والتقشف، فعيّنه بطريرك الإسكندرية شماساً ثم قساً وواعظاً، ووصف بأنه كان ذكياً فصيحاً يجيد الوعظ والإرشاد، واستطاع بأسلوبه الحكيم، وبما أوتي من قدرة وعظية أن يستميل لفكرته كثيراً من المؤيدين، معظمهم من رجال الدين المطلعين عليه، وإنا لنلمس من خلال هذه الأوصاف التي يصفه بها كتاب مسيحيون مناوئون له، القوة والمنطق في آرائه، فهو أولاً: رجل دين مطلع عاش المسألة في الكنيسة، ودرسها، وكان من الذين يجوز لهم الإطلاع على جميع الكتب الدينية الموجودة، كما عرف بزهده وتقواه، وهذا يشير إلى إخلاصه وعدم اتهامه بالزندقة وغيرها.. أضف إلى ذلك كله صموده وصبره الطويل أمام رجال الدين المنحرفين، وأمام الإمبراطور نفسه بجبروته وعظمته. إن وقفته الصامدة ومواجهته لكل الضغوط، إنما يدل دلالة واضحة على صدق ما جاء به، ولذلك فقد كثر أتباعه وصبروا معه، ولاقوا العذاب والإضطهاد في سبيل ذلك، لأنهم مؤمنون أنهم على حق، وهذا شأن أصحاب العقائد المخلصين في دعوتهم. وأن الدارس لحركة آريوس وجهاده الطويل ليدرك فداحة الجريمة التي ارتكبها بعض رجال الدين الذين آثروا مناصبهم، وآثروا إرضاء الدولة الرومانية الوثنية، فباعوا دينهم بدنياهم ووقفوا ضدّ آريوس، وحركته، وهم موقنون بقرارة نفوسهم صحة آرائه.

أما عن آرائه فلقد أسلفت من قبل أن رسائله التي أوضح فيها آراءه لم تصلنا، وما نقله المؤرخون عن عقيدته إنما كان مصدرهم فيه الكتب التي ردّت عليه.

يقول الدكتور **أسد رستم**:

ولسنا نعلم الشيء الكثير عن آريوس هذا.. وقد ضاعت رسائله ولم يبق منها إلا مقتطفات يسيرة، جاءت في بعض الردود عليه[3].

ومع ذلك فقد حوت هذه الكتب خلاصة عقيدته، وإن كنا نودّ لو أننا عثرنا على هذه الرسائل، لأنه ما من شك أنها حوت شروحاً كثيرة عن عقيدته، لم تتضمنها كتب الذي ردّوا عليه.

ولقد لخّص **زكي شنودة** عقيدة آريوس وآراءه فقال:

أنه يؤمن بإله واحد متعال، يفوق حدّ التصور منطو على نفسه، وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتاً بأي شيء له نهاية، وهو فريد لا شبيه له، أزلي لا بداية له، صالح، وهو وحده سبحانه ينفرد بهذه الصفات، وعندما شاءت إرادته أن يخلق عالماً ذا نهاية احتاج إلى وسيط، ولم يكن في هذا الوسيط قوة خارقة، وإنما كان عاملاً بسيطاً علمه الآب كيفية القيام بهذه المهمة، وهذا الوسيط لم يأت من عند الآب بأن صدر عنه أو انحدر منه، بل خلقه الآب خلقاً، فهو إذن غير أزلي، وهو مخلوق مثل باقي المخلوقات، ولا يمتاز عنها إلا بكونه خلق قبلها، وبأنه كان الواسطة التي استخدمها الله في عملية الخلق، ثم بعد ذلك في عملية الفداء، وهو ليس مساوياً للآب في الجوهر، بل بالعكس تتغير طبيعته مثل أي مخلوق، وهو كأي مخلوق أيضاً قادر على عمل الخير والشر... وهو أيضاً: معرض للخطر، ولا يستطيع أن يحيط بكل شيء[4].

هذا ما نقله لنا صاحب موسوعة تاريخ الأقباط عن عقيدة آريوس وما كتبه الدكتور أسد **رستم** وغيره شبيه بذلك.

---

[1]- كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، د.أسد رستم: 193/1، نشر دار النور- بيروت.

[2]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 392/11.

[3]- الروم، أسد رستم: 56//1.

[4]- تاريخ الأقباط، زكي شنودة: 151/1.

ولعل من تمام الفائدة أن نذكر المناظرة التي جرت بين آريوس وبين أثناسيوس رئيس شمامسة الإسكندرية بحضور الإمبراطور قسطنطين في مجمع نيقية سنة 325م، وهذه المناظرة تعتبر المصدر الأصلي الوحيد لبيان عقيدة آريوس كما يذكر الدكتور **أسد رستم**[5].

وقد أورد صاحب تاريخ الأقباط هذه المناظرة، وقد دارت المنافسة بعدما رأسَ الإمبراطور المجمع وطلب من آريوس أن يشرح مذهبه فقال:

إن الإبن ليس مساوياً للآب في الأزلية، وليس من جوهره وقد كان الآب في الأصل وحيداً، فأخرج الإبن من العدم بإرادته، والآب لا يمكن أن يراه أو يكيّفه أحد، ولا حتى الإبن، لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي[1].

قال آريوس هذا بوضوح وصراحة أمام مؤيديه، ومخالفيه من رجالات الكنيسة، وأمام الإمبراطور نفسه، رغم أن هذه الآراء لم ترض الإمبراطور إلا أنه لم يستطع الرد عليها، لقلة علمه بالنصرانية أصلاً، عندئذ يأتي دور المنافقين الذين يعيشون دائماً على فتات موائد السلاطين لينتصروا لرأي السلطان، ولو كان باطلاً حتى لو كان ذلك على حساب دينهم.

يقول **زكي شنودة**:

فتصدى له أثناسيوس رئيس شمامسة الإسكندرية، ودارت بينهما هذه المناظرة[2]:

آريوس: إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلاً **خلقني أول طرقة**.

أثناسيوس: معنى خلقني هنا ولدني.

آريوس: إن الإبن قال **أبي أعظم مني**[3]، فالإبن إذن أصغر من الأب ولا يساويه في الجوهر.

أثناسيوس: إن الإبن دون الأب لكنه تجسّد... أي أنه بناسوته يمضي إلى الأب الذي هو أعظم من ناسوت الإبن، وإلا كيف يتكلم بلاهوته! إنه يمضي إلى الأب حال كونه في حضن الأب.

آريوس: إن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه: **أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا ملائكة السماوات ولا الإبن إلا الآب وحده**[4]، فإذا كان الإبن لا يعرف وقت الدينونة فكيف يكون إلهاً؟

أثناسيوس: إن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذي لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه.

آريوس: إن المسيح قال: **أنا لا أقدر أن أصنع مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني**[5] فهو إذن عبد للآب ودونه.

أثناسيوس: إن المسيح تكلم من مواضيع كثيرة:

- بحسب كونه إلهاً صار إنساناً كقوله:

إلهي إلهي لماذا تركتني[6].

إني صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم[7].

- وبصفته إلهاً كقوله:

من رآني فقد رأى الذي أرسلني[8].

أنا في الآب والآب فيَّ[9].

هذه مقتطفات من المناظرة التي دارت بين آريوس وبين أثناسيوس رئيس شماسة الإسكندرية، ويصفه **ول ديورانت** بأنه البليغ المشاكس الذي جاء به ألكسندر بطريرك الإسكندرية ليقطع لسان معارضيه[10].

---

[5]- الروم، أسد رستم: 1/ 56.

[1]- تاريخ الأقباط، زكي شنودة: 151/1.

[2]- نفس المرجع: 155/1- 156.

[3]- يوحنا: 14/ 28.

[4]- متى: 24/ 36.

[5]- يوحنا: 34/4.

[6]- متى: 46/27.

[7]- يوحنا: 17/20.

[8]- يوحنا: 45/12.

[9]- يوحنا: 21/17.

نرجوا أن تكون هذه المقتطفات صحيحة، لأنها وصلت إلينا عن طريق مؤرخين مسيحيين معارضين لآريوس.
ومع هذا فإن قوة المنطق تبرز من خلال كلام آريوس، ولذلك فإن صاحب قصة الحضارة يشهد لإجابات آريوس بأنها منطقية صريحة قاطعة، وقد سلم أثناسيوس بما في تصوير أشخاص ثلاثة في صورة إله واحد من صعوبة، ولكنه قال بأن العقل يجب أن يخضع لما في الثالوث من خفاء وغموض.[11]

ومن خلال هذه المناظرة، وما أسلفنا من بيان عقيدة آريوس، نستطيع أن نحدد عناصر عقيدته بالأركان التالية:

1. وحدانية الله تعالى بذاته وصفاته.
2. الله تعالى أزلي لا بداية له.
3. احتياج الله إلى وسيط ليخلق العالم.
4. الوسيط هو المسيح الإبن فهو مخلوق غير أزلي غير مساو للآب في الجوهر وبذلك أنكر ألوهية المسيح.
5. الإبن عبد الآب ودونه لا يعرف وقت الدينونة.

وتكاد هذه العناصر بعقيدة آريوس تشابه نظرة الإسلام لشخصية المسيح عليه السلام، والعقيدة في الله تعالى... ولكنها تخالف الإسلام بمسألة الوسيط الذي احتاج الله إليه ليشاركه في الخلق، والإسلام نزّه الله تعالى عن الحاجة للشريك.

مجمع نيقية سنة 325م، ومقاومة رجال الكنيسة لآريوس

بدأت مقاومة آريوس من قبل رئيس كنيسة ألكسندروس، يقول **أسد رستم**:

وعلم ألكسندروس بما علم آريوس ومنعه عما كان يعلم به[1]... لكن آريوس استمر بدعوته نشيطاً، واستطاع أن يكسب أعداداً كبيرة من رجال الدين، وكثر مؤيدوه من الأساقفة خارج مصر وبين هؤلاء أساقفة كل من: نيقوميدية قيصرية فلسطين، بيسان، اللد، صور، بيروت، اللاذقية، عين زرية في قلقيلية[2].

وتبعه عدد كبير من غير الأساقفة، وكان هذا التأييد دافعاً قوياً لآريوس للإستمرار بدعوته وحركته.
وعندما رفض آريوس أوامر سيده ألكسندروس الذي نهاه عن أقواله استدعى أسقف الإسكندرية بعض الأساقفة وألفوا مجمعاً حرّموا فيه آريوس ومذهبه، فقام آريوس وجمع مجمعاً حضره كثير من الأساقفة أثبت فيه مذهبه وحرم من خالفه[3].
لكن يبدو من كلام آسد رستم أن آريوس لم يتمكن من عقد مجمعه في الإسكندرية، لأن ألكسندروس تمكن من نفيه، ونفي أسقفين وستة قساوسة وستة شمامسة معه، فقصد قيصرية فلسطين، وكان أسقفها أفسابيوس المؤرخ يؤيد مذهب آريوس لكنه لا يجاهر به، ثم ذهب آريوس إلى نيقوميدية، وأقنع أسقفها برأيه، فعقد مجمعاً محلياً اتخذ فيه قراراً بوجوب قبول آريوس وجماعته ووجوب الكتابة إلى ألكسندروس ليرفع عنهم الحرمان، وكلف المجمع آريوس أن يكتب ذلك، فكتب رسالة ضمنها آراءه في الثالوث فراجت رواجاً ملموساً[4].
وبعثوا الكتاب إلى أسقف الإسكندرية لكنه رفض ذلك فاجتمع بعض الأساقفة الأنطاكيين في قيصرية فلسطين، ومنحوا آريوس وجماعته حق الرجوع إلى ممارسة الأسرار[5].
وهذا يدل على الرواج السريع الذي لاقته فكرة آريوس بين الأوساط المسيحية التي لا زالت ليومها لم تنحرف كثيراً عن التوحيد.
ومع هذا الرواج الملموس لم تعد القضية خلافاً بين آريوس وألكسندروس فحسب، بل باتت مشكلة خلافية تهدد أمن الإمبراطورية الرومانية وسلطة الكنيسة.
إن أفكار آريوس أدّت إلى انقسام رجال الدين إلى فريق مؤيد له ولأفكاره التوحيدية، وفريق مؤيد لألكسندروس وآرائه المؤلهة واحتدم الصراع، وترددت في المدائن أصداء الضجيج، والإضطرابات حتى كان المسيحي، كما يقول يوسيبوس، موضع السخرية الدنسة من الوثنيين حتى في دور التمثيل نفسها[6].

---

[10]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 395/11.
[11]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 395/11.
[1]- كنيسة مدينة الله، د. أسد رستم: 193/1.
[2]- نفس المرجع: ص 194.
[3]- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي: 203/10.
[4]- كنيسة مدينة الله، د.أسد رستم: 194/1- 195.
[5]- نفس المرجع: 196/1.
[6]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 393/11.

وكان هذا الخلاف موضع اهتمام الإمبراطور قسطنطين، الذي كان يهمه بالدرجة الأولى أمن دولته واستقرارها. فهيّأ الأمور لعقد مؤتمر ديني كبير يضم رجال الدين من كافة أنحاء الدولة فكان مجمع نيقية سنة 325م.

وقد حاول الإمبراطور من قبل إنهاء الخلاف، فبعث إلى كل من ألكسندروس وآريوس بوجوب التآلف ونبذ الخصام، وكما يقول **أسد رستم**:

فإن الإمبراطور ألمح في كتبه إلى وجوب طاعة الرئيس، وأشار إلى أن الإختلاف العقائدي أمر فلسفي دقيق لا يستوجب ذلك الإهتمام[7].

وبذلك يصرّح الإمبراطور قسطنطين أن الأمور الدينية أمور فلسفية دقيقة لا أهمية لها. وقد عقد الإمبراطور مجمع نيقية سنة 325م بناء على اقتراح تقدم به هوسيوس أسقف إسبانيا الذي أرسله الإمبراطور لحل القضية في الإسكندرية بين آريوس ورئيسه، فلم يفلح[8].

وجّه الإمبراطور الدعوة إلى جميع الأساقفة في الدولة الرومانية، وعيّن نيقية مركز الإجتماع.

أما عن عدد الذين حضروا هذا المجمع فتختلف الروايات التاريخية في ذلك، فصاحب قصة الحضارة يذكر أن عدد الأساقفة لا يقل عن318 أسقفاً يصحبهم حشد كبير من رجال الدين الأقل منهم درجة[1].

وصاحب تاريخ الأقباط يذكر أنه قد حضر 318 أسقفاً من كل أنحاء العالم المسيحي، وفي مقدمتهم البابا ألكسندروس بطريرك الإسكندرية وبصحبته أثناسيوس رئيس شمامسته، وأسقف إنطاكية، وأسقف قيصرية فلسطين، وأسقف القدس وحضر مع آريوس أتباعه أساقفة نيقوميدية، ونيقية، وفلقيدونية، ومعهم عدد من المفكرين والفلاسفة، وقد بلغ مجموع الحاضرين نحو الألفين[2].

ويقول المؤرخ المسيحي **ابن البطريق**:

بعث الملك قسطنطين، فجمع البطاركة والأساقفة فاجتمع في نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة[5].

ويظهر لنا من مجموع هذه الروايات أن عدد المجتمعين كان يزيد على الألفين من رجال الدين من البطاركة والقساوسة وغيرهم.

افتتاح المؤتمر

يذكر الدكتور أسد رستم أن المجمع افتتح في العشرين من أيار سنة 325م ودامت جلساته سبعة وتسعين يوماً[6].

واجتمع تحت رياسة قسطنطين، وافتتح هو المناقشات، كما يرجح ذلك صاحب قصة الحضارة[7].

وذهب كثير من المؤرخين إلى أن الإمبراطور تدخل في قضايا النقاش وكان يفرض رأيه أحياناً، وقد نقل ذلك أسد رستم عن المؤرخ أفسابيوس حيث يقول:

إن الإمبراطور تدخل مراراً في البحث لإقرار السلم والوفاق،

كما نقل قول روفينوس:

إن بعض الفلاسفة الوثنيين حضروا الجلسات وناقشوا الأساقفة[8].

مع أن أسد رستم المؤرخ المسيحي الذي يعتبر مؤرخ كنيسة أنطاكية لا تعجبه هذه الآراء، ويقول بأن رجال الإختصاص يردون هذين القولين[9].

لكن السّرد التاريخي المجرد لأحداث المؤتمر تبين لنا اهتمام الإمبراطور بما كان يدور فيه من نقاش، وأنه استعمل سلطانه كإمبراطور لفرض الآراء المؤلهة التي دافع عنها الفلاسفة الوثنيون، والتي تعتبر أقرب إلى عقيدته الوثنية.

كما أن جوّ الرعب والخوف من السلطان كان يخيّم على هذا المؤتمر لأن الإمبراطور منذ دخوله المؤتمر أعطى جوّ الهيبة هذا، ويصف لنا الأستاذ رستم المجتمعين وهم ينتظرون وصول الإمبراطور منصتين، ثم أعطيت الإشارة بوصوله، فانتصبوا إحرام وإجلالاً، ودخل قسطنطين بالأرجوان والذهب ووراءه بعض الحاشية[10].

---

[7]- الروم، أسد رستم: 57/1.

[8]- نفس المرجع: ص 57.

[1]- قصة الحضارة، ول ديورانت:394/11.

[2]- تاريخ الأقباط، زكي شنودة: 154/1.

[5]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 138، الطبعة الثانية 1385هـ، مطبعة المدني- القاهرة.

[6]- الروم، أسد رستم:57/1.

[7]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 394/11.

[8]- كنيسة مدينة الله، أسد رستم: 201/1.

[9]- نفس المرجع: 201/1.

[10]- نفس المرجع: 200/1.

ورغم اختلاف الروايات التاريخية في عدد الأساقفة الذين أيدوا آريوس، إلا أننا لو صدقنا بعض المؤرخين المسيحيين القائلين بأنه لم يؤيّد آريوس سوى عشرين أسقفاً كما يقول أسد رستم[11] وسبعة عشر أسقفاً كما يقول ول ديورانت[12].

فإننا لا نعتبر ذلك دليلاً على أن جميع الأساقفة قد أيّدوا التثليث، ودافعوا عنه، لأن العامل الأساسي لموقفهم هذا خوفهم من سلطان الإمبراطور، ويؤيد هذا ما أورده ول ديورانت بأن خمسة من الأساقفة قد رفضوا التوقيع على الصيغة التي خرج بها المجمع، نقصوا آخر الأمر إلى اثنين[13].

والسبب واضح هو الخوف من بطش الإمبراطور، ومما لا شك فيه أننا لا نتوقع من جميع المخالفين أن يصبروا، ويضحّوا بأنفسهم في سبيل ما يعلمون صحّته، وقليلون هم أولئك الناس الذين يزهدون بالحياة في سبيل عقيدتهم.

على أن ما يرويه المؤرخ ابن البطريق، يختلف تماماً عن هذه الروايات، فهو يتحدث طويلاً عن هذا المؤتمر، ويصف أحوال المجتمعين وآراءهم فيقول:

إن منهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله. ومنهم من كان يقول إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار، انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها، ومنهم من كان يقول: إن مريم لم تحبل به تسعة شهور، وإنما مرّ في بطنها كما يمرّ الماء في الميزاب، ومنهم من كان يقول: إن المسيح قد خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الإبن من مريم، وإنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الأنسي، صحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه المحبة والمشيئة، ولذلك سمّي ابن الله... ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل صالح وطالح وعدل بينهما، ومنهم من كان يقول: بألوهية المسيح وهي مقالة بولس الرسول ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً[1].

ولقد سمع الإمبراطور كل هذه الآراء بالإضافة إلى رأي آريوس وأتباعه.

وعالج القضية من وجهتين:

1. أن همّه الرئيسي إزالة الخلاف الذي يهدّد أمن الإمبراطورية.
2. إرضاء غالبية شعب الإمبراطورية من الوثنيين إضافة إلى أن فكره لا يزال وثنياً.

وخرج هذا المجمع بعدة قرارات كان منها قرار تأليه المسيح، أو ما سمّي فيما بعد وثيقة الأمانة أو قانون الإيمان النيقاوي (Nicene Creed).

على أن نصّ قانون الإيمان المعروف عند النصارى اليوم لم يكن كله في مؤتمر نيقية، فقد تتابعت مجامع أخرى أضافت له نصوصاً. والتثليث لم يكتمل بشكله الحالي إلا في مجمع القسطنطينية سنة 381م وسيأتي ذكره إن شاء الله حيث كان فيه تأليه الروح القدس.

أما قرار مجمع نيقية، فهذا نصّه كما أورده الدكتور أسد رستم:

نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل، خالق كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، مولود من الآب أي من جوهر الآب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساو للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء ما في السماء وما في الأرض، الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل، وتجسّد، وتأنس، وتألم، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وسيجيء ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس[3].

وأقرّ هذا القانون وفرض على النصارى، رغم أن الذين وافقوا عليه، إرضاء للسلطان، ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً، من مجموع ألفين وثمانية وأربعين كما هي رواية ابن البطريق.

ولنا أن نتساءل... ماذا كان رأي الذين لم يؤخذ رأيهم؟ على أن الرواة يقولون: إن آريوس لما اجتمع بهم، وألقى دعوته ونحلته إليهم انضم إلى رأيه من تلك النحل المختلفة[4].

وبذلك حقق الإمبراطور هدفه في التقريب بين النصرانية والوثنية وفي ذلك توحيد للأمة الرومانية كلها، وهذا ما يسعى إليه الإمبراطور.

أما مصير المعارضين بعد ذلك فيكفي أنهم أصبحوا أعداء الدولة بعد أن كانوا فقط أعداء رجال الكنيسة.

---

[11]- الروم، أسد رستم: 58/1.

[12]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 395/11.

[13]- نفس المرجع: ص 396.

[1]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 138.

[3]- كنيسة مدينة الله، أسد رستم: 203/1.

[4]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة:ص 140.

لذلك، فإن قسطنطين طلب من المجلس الحكم على آريوس وعلى الأسقفين اللذين رفضا التوقيع على صيغة الأمانة، فحكم المجلس على هذين الأسقفين وعلى آريوس الذي لم يتزحزح عن عقيدته أو يتوب، حكم عليه باللعنة والحرمان، ونفاهم الإمبراطور من البلاد، وصدر مرسوم امبراطوري يأمر بحرق كتب آريوس جميعها، ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام[5]. شأن الطغاة في كل عصر، يلجأون إلى القوة والبطش حين يعجزون عن مواجهة الحق بالمنطق والحجة. واستعمل الإمبراطور كل ما يملك من وسائل القمع والإرهاب ضدّ الآريوسيين، وأتلف كتبهم ومنع تداولها حتى لا يطلع الناس على ما يمليه عليهم رجال الدين المنحرفون. ورغم كل هذا فلقد بقي آريوس وأتباعه صامدين على عقيدتهم لم ترهبهم قوة السلطان، مع أننا لا ننكر أن لهذا المجمع أثراً عظيماً في تثبيت قواعد عقيدة التثليث.

يقول المؤرخ **ول ديورانت**:

ولكن الإمبراطور أخطأ إذ ظن أن النزاع قد وقف عند هذا الحد، غير أنه كان على حق حين اعتقد أنه خطا خطوة كبيرة في سبيل وحدة الكنيسة.. وكانت الكنيسة الكاثوليكية، وكانت في الوقت نفسه إيذاناً باستبدال المسيحية بالوثنية وجعلها المظهر الديني والعنصر القوي للإمبراطورية الرومانية[1]. وبعد سنين متواصلة من مطاردة الآريوسيين، كان لآريوس فيها مؤيدون كثيرون منهم أساقفة كنائس تمكن الأسقف الآريوسي يوسيبيوس أسقف قيصرية فلسطين من إقناع الإمبراطور أنه لا فرق بين إيمان آريوس وإيمان المجمع، فأعاد الإمبراطور آريوس من منفاه وأرسله سنة 330م إلى الإسكندرية[2].

ويذكر ابن البطريق أن يوسابيوس استطاع أن يتقرب إلى الإمبراطور حتى جعله بطريرك القسطنطينية، فما أن ولي هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية في الخفاء، فلما اجتمع المجلس الإقليمي في صور، وحضره هو وبطريرك الإسكندرية الذي كان يمثل فكرة ألوهية المسيح ويدعو لها... انتهز يوسابيوس فرصة ذلك الإجتماع، وأثار مقالة آريوس، وكان في ذلك المجمع كثير من الموحدين... فاشتدّ النقاش بين رئيس كنيسة الإسكندرية وبين المجتمعين، ولم يكتفوا بالنقاش القولي، بل ضربوه حتى أدموه وكادوا أن يقتلوه[3].

وهذا يبين لنا مدى حماسة الموحدين من المسيحيين، ونشاطهم في دعوتهم، وفيه إشارة إلى أن معظم المسيحيين في ذلك العصر كانوا من الموحدين، لأن التوحيد هو الأصل، **وفكرة التثليث وألوهية المسيح حديثة عهد بهم، تبنتها ودافعت عنها كنيسة الإسكندرية المتأثرة بالمدرسة الأفلوطينية الحديثة التي كانت أفكارها تسيطر على الإسكندرية في ذلك الوقت**، وكانت تؤمن بنظرية التثليث الفلسفية التي تحدثنا عنها من قبل.

يقول **ابن البطريق**:

في ذلك العصر غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية وأنطاكية وبابل، ويقول: بأن الآريوسيين تغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية ووثبوا على أثناسيوس بطريرك الإسكندرية الذي كان رئيس شمامسة ألكسندروس ليقتلوه، فهرب منهم واختفى، وكذلك وثب أهل بيت المقدس ومن كان منهم أريوسياً على كوريس أسقف بيت المقدس ليقتلوه فهرب منهم، فصيّروا أراقليوس أسقفاً على بيت المقدس وكان أريوسياً[4].

وفاة آريوس

أما آريوس نفسه فقد عفا عنه الإمبراطور بعد النفي الطويل، وعاد إلى الإسكندرية فاستقبله الناس باحتفال عظيم، وحملوه على أكفهم، فمات فجأة وسط هذا الفرح العظيم، فاتخذ خصومه ذلك حجة على أنه مبطل[5].

ويذكر **محمد فريد وجدي**:

أن القضية فيما بعد أصبحت بين الكنائس الغربية والشرقية، حيث غلب على الغربية طابع التأليه، وعلى الشرقية طابع التوحيد، وعقدت كل من الكنيستين مجامع محلية حرمت بها الأخرى[6].

وبعد هذا الحديث عن مجمع نيقية ونتائجه، نودّ الإشارة إلى بقية المجامع المسيحية التي تلت هذا المجمع، نتبين من خلالها أسباب انعقاد هذه المجامع وخطورتها على عقيدة التوحيد، **لأن هذه المجامع هي مصدر الإنحراف الأساسي**، فما من عقيدة يؤمن بها النصارى اليوم إلا وقد أقرّت في أحد هذه المجامع وما من انحراف حدث إلا بموافقة أحدها عليه. وما من مضايقة على الموحدين إلا وقد أقرّت من قبل في مجمع منها. ولقد كانت هذه المجامع تستعمل أداة بيد السلطان، أو رجال الدين لضرب

[5]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 396/11.
[1]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 396/11.
[2]- الروم، أسد رستم: 61/1.
[3]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 143.
[4]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 145.
[5]- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي: 203/10.
[6]- انظر المرجع السابق: ص 204.

الحركات التصحيحية في المسيحية... فهي التي أمدّت في عمر التثليث، وسيظهر لنا من خلال هذه النظرة السريعة لهذه المجامع وفي **المجمع الثاني القسطنطينية سنة 381م** ألهوا روح القدس، وفي **المجمع الثالث أفسس الأول سنة 431م** تمّ تأليه مريم العذراء باعتبارها والدة الإله، كما أن أحد هذه المجامع **مجمع روما سنة 1869** قرّر عصمة البابا، وغيره منح الكنيسة حق الغفران والحرمان، وسنقتصر على أهم هذه المجامع وهي:

مجمع القسطنطينية سنة 381م

يقول صاحب تاريخ الأقباط:

كان الغرض من عقد هذا المجمع محاكمة أصحاب البدع ومنهم مقدونيوس و يوسابيوس وأبوليناريوس، وكان الأول أسقفاً أقامه الأرسيون على القسطنطينية سنة 343م ثم عزل سنة 360م، لمناداته ببدعة جديدة هي إنكار لاهوت الروح القدس، إذ قال بأنه مخلوق كسائر المخلوقات، وقد ناقشه المجمع وحرمه وأسقطه من رتبة الأسقفية. وكان الثاني ينكلر وجود الثلاثة أقانيم، ويقول: إن الثالوث ذات واحدة وأقنوم واحد، فناقشه المجمع ثم قطعه وأسقطه من رتبته. وكان الثالث أسقفاً على اللاذقية والشام، وقد أنكر وجود النفس البشرية في المسيح، واعتقد أن لاهوته قام مقام الروح الجسدية في احتمال الآلام والموت، وقال بتفاوت العظمة بين الأقانيم، فالآب أعظم من الإبن والإبن أعظم من روح القدس. وقد حكم المجمع بحرمه وإسقاطه من رتبته. ثم وضع المجمع تكملة لقانون الإيمان (Nicene Creed) = عقيدة نيقية الذي وضعه مجمع نيقية، ابتدأت التكملة بعبارة: "ونؤمن بالروح القدس الرب المحيي المميت"، وتنتهي بعبارة: "وحياة الدهر الآتي آمين"[1].

ويعتبر هذا المجمع من المجامع المهمة عند النصارى لأنه كان مكملاً لمجمع نيقية، ووثيقة الإيمان التي تؤمن بها الكنائس اليوم وضعت في المجمعين كما قلنا، حيث أقرّ هذا المجمع ألوهية روح القدس ليتم الثالوث.

ويقول **ابن البطريق** في بيان قرارهم:

زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية: الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والإبن مسجود له وممجد، وثبّتوا أن الآب والإبن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص، وحديّة في التثليث وتثليث في وحديّة[2].

وتلاحظ في هذا المجمع أسلوب القطع والحرمان لكل مخالف، وهذا يشير إلى السياسة التي اتخذتها الكنيسة ضدّ مخالفيها حتى استطاعت أن تثبت أركان عقيدة التثليث الغريبة.

مجمع أفسس الأول سنة 431م

الغرض من عقد هذا المجمع كما يقول **صاحب تاريخ الأقباط**:

محاكمة أصحاب البدع التي ظهرت في ذلك الحين ومنهم بيلاجيوس Belagianism و نسطور، أما الأول: فيعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه، وبذلك أنكر قضية الخلاص والفداء، فناقشه المجمع ثم قطعه وأسقطه من رتبته. وأما نسطور فقد كان أسقفاً على القسطنطينية، وما لبث أن نادى بأن طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية... ورغم أن نسطور قد حضر إلى المجمع ومعه أربعون أسقفاً من أتباعه إلا أن المجمع حرمه وأسقطه من رتبته وفرزه من كل خدمة كنسية[3].

ونسطور وإن كان يعتقد أن المسيح فوق البشر إلا أنه انكر ألوهيته وقد جاء في **تاريخ الأمة القبطية** عن نحلته ما نصّه:

أما هرطقة نسطور هذه فلم تكن كغيرها، نشأت عن اختلاف في العقائد التي وضعها الآباء والأحبار، بل هي جوهرية، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلهاً في حدّ ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله لم يرتكب خطيئة[4].

أما أهم قرارات المجمع، فهو تأليه مريم العذراء، وذلك ردّاً على نسطور الذي قال بأن مريم لم تلد الإله.

وقد بلغ عدد أعضائه نحو مائتين من الأساقفة، وقرروا كما ذكر **ابن البطريق**:

أن مريم العذراء والدة الله، وأن المسيح إله حق وإنسان، معروف بطبيعتين متوحّد في الأقنوم [5].

ومع نفي نسطور وطرده فقد انتشر مذهبه، يقول ابن البطريق:

تكاثرت النسطورية في المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة[6].

---

[1]- تاريخ الأقباط، زكي شنودة: 176/1.

[2]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 149.

[3]- تاريخ الأقباط، زكي شنودة: 177/1.

[4]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 150.

[5]- نفس المرجع: ص 151.

[6]- نفس المرجع: ص 151.

وطبيعي أن ينتشر هذا المذهب، لأن الناس في ذلك الوقت لم يكونوا على اقتناع بألوهية المسيح.

مجمع أفسس الثاني سنة 449م

حكم ببراءة اوطاخي الذي كان رئيساً لدير بالقرب من القسطنطينية، تطرف في تعبيره في مجال الجدال مع الأريوسيين، فحكم عليه أسقف القسطنطينية بقطعه في مجمع مكاني، فعقد هذا المجمع استئنافاً للحكم، فحكم ببراءته بعد اعترافه بتمسكه بالإيمان النيقاوي[7].

وأهم ما نلمسه من هذا المجمع أن رجال الكنيسة المؤيدين للتثليث يقفون بالمرصاد لحرمان كل مخالف، وبذلك انتشرت آراؤهم بالقوة والرهبة.

مجمع خلقيدونية سنة 451م

يعتبر هذا المجمع من المجامع المهمة في تاريخ المسيحية، ذلك لأن موضوعه في صلب العقيدة، فهو يتعلق بطبيعة السيد المسيح عليه السلام، وقد كان هذا المجمع حاداً، فقد تعددت فيه الآراء والإختلافات، وقد طرد منه بطريرك الإسكندرية ديسقورس بالقوة، فكان هذا المجمع أساس الإنشقاق بين الكنائس إلى يومنا هذا.

وقد حضره كما يروي صاحب تاريخ الأقباط أساقفة روما، وحضره البابا ديسقورس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته، وقد اشتد الخلاف بين الفريقين في اليوم الأول، حتى إذا كان اليوم الثاني منع ديسقورس وأساقفته بالقوة من حضور الجلسة، واجتمع أساقفة روما مع بعض أساقفة المشرق، وحكموا بعزل ديسقورس ونفيه، ونادوا بعقيدة الطبيعتين والمشيئتين مخالفين بذلك قانون الإيمان (**Nicene Creed**)... وقد رفض ديسقورس أمر الإمبراطور مريكان المتوفى سنة 459م فامر بنفيه، ومات، وظلت الكنيسة القبطية محافظة على الإيمان الذي استشهد في سبيله، لذلك فإن الكنيسة القبطية لا تعترف بهذا المجمع ولا بقراراته[1].

وأصدر هذا المجمع بياناً يذكره **ابن البطريق** بقوله:

قالوا إن مريم العذراء ولدت إلهنا، ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناسوت في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أن: المسيح له طبيعتان، وأقنوم واحد، ولعنوا نسطور وديسقورس ومن يقول بمقالته ونفوه، ولعنوا المجمع الثاني الذي كان بأفسس ونفي ديسقورس إلى فلسطين[2].

فهذا المجمع الذي يعتبر رأي أساقفة روما أو ما سمي بالكنيسة الغربية يؤمن بأن للمسيح طبيعتين: إنسانية وإلهية وهو بذلك يخالف نسطور الذي قال بأن الأقنوم الإبن عنصر إنساني فقط، ويخالف قرار المجمع الثاني في أفسس، الذي قال: إن المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس فصار الإبن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة[3].

لقد كان هذا المجمع كما قلنا سبباً في انشقاق الكنيسة القبطية عن كنيسة روما، وينقل لنا الشيخ محمد أبو زهرة، سبب ذلك عن صاحبة كتاب **تاريخ الأمة القبطية** التي تقول:

لما طرق مسامع المصريين ما لحق ببطريركهم من الحرمان والعزل، هاجوا وغضبوا واتفقوا على عدم الإعتراف بقرار المجمع الذي أصدر هذا الحكم.. وأعلنوا أن إيمان بطريركهم هو إيمانهم، ولو خالفه جميع أبطرة القسطنطينية وبطاركة روما[4].

ما الذي حدث بعد ذلك؟ نشأ الخلاف وصار في ربوع الدولة الرومانية دعاة للمذهب المصري، ودعاة لمذهب روما، أو المذهب الملكي، كما سماه العرب من بعد، وقد استشهد من دعاة المذهب المصري يعقوب البرادعي وقد كان نشيطاً في دعوته، يدعو الناس إلى اعتناق مذهب الكنيسة المصرية، حتى أطلق على هذا المذهب الذي يقول بأن للمسيح طبيعة واحدة باليعقوبية[5].

ومن المعلوم أن هناك مجامع كثيرة عقدها النصارى غير التي ذكرناها، وقد ذكر صاحب كتاب سوسنة سليمان أنه قد أحصى المجامع العامة من القرون الأولى للمسيحية حتى سنة 1869م فكانت عشرين مجمعاً[6].

وكان آخر مجمع مسكوني عام عقده النصارى سنة 1964م وهو الذي أقرّوا فيه **وثيقة تبرئة اليهود** من دم المسيح.

لا نريد استقصاء هذه المجامع، واقتصرنا على المجامع الأولى المهمة، وكان يهمنا المجامع التي ناقشت قضية التثليث أو طبيعة المسيح.

---

[7]- تاريخ الأقباط، زكي شنودة: 178/1.

[1]- تاريخ الأقباط، زكي شنودة: 179/1.

[2]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 153.

[3]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 154.

[4]- نفس المرجع: ص 154.

[5]- نفس المرجع: ص 154.

[6]- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 123.

أثر رجال الكنيسة في الإنحراف

وقد رأينا موضوع الخلاف الشديد حول عقائد النصارى الأساسية وأسلوب الكنائس في الرّد على مخالفيها... ورأينا كيف أن هذه المجامع كان يلعن بعضه بعضاً أحياناً. ودراستنا لهذه المجامع ما كانت إلا لنثبت مدى خطورتها في إقرار العقائد الخاطئة، أو نرى موقف رجال الكنيسة السلبي من عقيدة التوحيد فكان هذا الموقف أهم أسباب انحراف النصرانية عن التوحيد.

الفلسفة

أثر الفلسفة في انحراف النصرانية عن التوحيد

ولم تكن المسيحية في بادىء الأمر تلتفت إلى آراء الفلاسفة، لأنها تعتبر دعوتها ديناً إلهياً يقوم على الإيمان بالله تعالى وحده، لا دخل للفلاسفة ولا لغيرهم من البشر في وضعها، أما الفلسفة فإنها تقوم على العقل المحض والتصورات الخيالية العقلية، وبقيت المسيحية صافية من هذه الشوائب يوم كانت دعوة خاصة لبني إسرائيل زمن عيسى عليه السلام وحوارييه من بعده.

وعندما ابتدأت فكرة عالمية المسيحية على يد القديس بولس ودخلت المسيحية إلى العالم الوثني، ودخلت معركة مع الوثنية من جهة، ومع الفلسفة من جهة أخرى، بدأت أفكار تلك الأمم تتسرب إلى العقيدة المسيحية، وكان ممّن دخل المسيحية في أوائل عهدها رجال مثقفون بالثقافة اليونانية المنتشرة حينذاك في حوض البحر المتوسط[5].

ولدى خروج المسيحية عن الحدود التي التزم بها المسيح عليه السلام واجهت اضطهاداً من الدولة الرومانية، كما واجهت الإضطهاد من اليهود من قبل، ودخل كثير من الفلاسفة إلى النصرانية ومزجوا الفلسفة بالدين مما أدى إلى إيجاد نظم دينية من وراء المادة وكان الشعب خليطاً في أفراده وفي ثقافته فوجدت الفلسفة جواً ملائماً لما ستقوله فولدت ديانة جديدة قامت على أساس الفلسفة.

وبذلك تكون العقيدة المسيحية كما يقول الأستاذ **جيني بير** قد وقعت تحت لونين من التأثيرات:

1. تأثيرات العامة البسطاء الذين لا يستطيعون التسامي عما اعتادوا عليه من تركيبات وإضافات، ففرضوا منذ البداية كل النظريات التي تؤرق المسيحية اليوم وهؤلاء الأتباع أتوا من العالم الهيليني بعد أن عمرت أذهانهم بفروض الأسرار.

2. تأثير الفلاسفة الذين راحوا يطبقون أساليب التفكير التي علموها في المدارس على مبادىء الإيمان وعلى النظريات التي أوحت بها العاطفة الدينية للسذّج البسطاء ونشأت عقائد معقدة مثل: التثليث، تحول الخبز والخمر بطقوس القربان إلى لحم ودم المسيح[1].

أثر الفلسفة اليونانية

يبدو أن الفلسفة التي كانت تسود المجتمع الروماني في الشرق والغرب هي: الفلسفة الإغريقية الهلينستية، فقد كانت هذه الفلسفة غنية بالأفكار المختلفة المتنوعة الإتجاهات، حتى إنها عنيت بالإتجاه الديني، وقطعت فيه شوطاً كبيراً، فكان باستطاعتها أن تغذي المسيحية بما عندها من أفكار بدل أن تأخذ منها.

وقد اتجهت الفلسفة اليونانية إلى الإتجاه الديني قبل أن تلتحم مع المسيحية، لذا فإنها كانت محصّنة مليئة بالأفكار الدينية قبل ورود المسيحية إليها، وساعد الفلسفة على البحث في هذا الإتجاه شعور الناس بالقوى التي لا تدركها الحواس وحاجتهم إليها، وهو الشعور الذي يقوم عليه الدين.

وكما يقول **ول ديورانت**:

كانت الفلسفة في ذلك الوقت تتخلى عن تفسير التجارب الحسية التي هي ميدان العلوم الطبيعية، وتوجه اهتمامها إلى دراسة العالم غير المنظور[2].

بدأ الفلاسفة إذن يوجهون اهتمامهم إلى تأليف النظريات الدينية وذلك تمشياً مع رغبة الناس: فأنشأ الفيثاغوريون الجدد والأفلاطونيون الجدد من نظرية فيثاغوريوس سنة 530 ق.م في تناسخ الأرواح، وآراء أفلاطون 430- 348 ق.م في الأفكار الإلهية نظاماً من الزهد أرادوا أن يقووا به الإدراك الروحي بإماتة الحواس الجسمية، وكان أفلوطين 205- 270م أكبر الممثلين لهذه الفلسفة الدينية المتصوّفة، وهو رجل مسيحي قبطي ارتدّ إلى الوثنية، وكان يحاول التوفيق بين المسيحي والأفلاطونية[3].

وقد أدّى دخول عدد من المسيحيين في الوثنية **نتيجة الإضطهاد ودخول نفر من الوثنيين في المسيحية**، وقد بقوا على وثنيتهم بعقولهم وقلوبهم وشعائرهم، إلى ضعف عام في التديّن يضاف إلى هذا كلّه كما يقول الأستاذ **متولي يوسف شلبي**:

إن الأحوال المعيشية عند الرومان لم تساعد على أن يأخذ السلطان الديني محلّه في النفوس فبينما نجد الرخاء والترف من حظ الطبقة الحاكمة نجد عامة الشعب يتلوّى من الجوع.... لذلك فقد خبا لهيب السلطان الديني من القلوب، فأراد الفلاسفة أن يملأوا هذا الفراغ، لتأخذ الفلسفة محلها في مراقبة السلوك محل السلطان الديني، فقامت التعاليم الفلسفية بشذى ديني، والتحم الشعور الديني بالتذوق الفلسفي، حتى صنع من الأديان التي تؤمن بها الدولة الرومانية وحدة طقوس وشعائر، فالتقت المسيحية مع الفلسفة ومع الطقوس الوثنية القديمة، فكانت المسحية التي امتزجت بالفلسفة والأفكار الوثنية أو الوثنية التي صارت مسيحية، وانصهرتا معاً في بوتقة واحدة[4].

إن الفلسفة كان لها فعل السحر في النصرانية، فقد استطاعت أن تنفذ إلى أعماق العقيدة. يقول الأستاذ **جيني بير**:

ولقد ظل الفكر اليوناني خميرة لكل نظريات علم اللاهوت الذي نما نمواً هائلاً، فالمسيحيون ينهلون من ذلك النبع الدافق للأفكار الميتافيزيقية سواء في طريقة مباشرة من كتب الفلاسفة الأفلاطونيين أو غير مباشرة في كتب أوريجين[1] 185-254م... وسط هذه المعمعة الحامية نجد الصراع يدور حول العلاقة بين الأب والإبن في نطاق الثالوث[5].

---

[5]- دروس في تاريخ الفلسفة، إبراهيم ويوسف كرم: ص 94.

[1]- المسيحية، شارل جيني بير: ص 154- 155.

[2] - قصة الحضارة، ول ديورانت: 11 / 299.

[3]- نفس المرجع والصفحة.

[4]- أضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي: ص 29. الطبعة الثانية 1393هـ.

Click here to read about Origen [1]

[5]- المسيحية، شارل جيني بير: ص 183.

المسيحية المفلسفة

بقيت المسيحية ديناً إلهياً لم يخضع لمؤثرات البيئة الرومانية أو الهيلينية حتى نهاية عهد الحواريين. ولكن المسيحية لم تقف عند هذا الحد بعد دخولها معركة مع البيئة الرومانية اليونانية التي كانت تحمل في رحابها التفكير المختلف الإتجاهات بما فيه التفكير الديني، هذا التفكير وإن لم يكن متكاملاً إلاّ أنّه لا يقبل أن يتلاشى بسهولة دون رد فعل.

يقول الأستاذ **جيني بير:**

فلما تلاشت تلك الفئة من الناس الذين عرفوا المسيح لحماً ودماً لم يكن هناك أي اعتبار تاريخي يحدد أو ينظم الإضافات في الإيمان، لذلك نراها تنمو وتزداد في تصورات رئيسية ثلاثة للسيد المسيح قابلة للبحث والتنقيب:

الأولى: تصور بولس وخطوطه الرئيسية، هي:

1. كان المسيح إنساناً سماوياً سبقت عناصره الروحية في الوجود، وجوده الجسمي كان في السماء ومبدأ حياته هو الروح الإلهية نفسها وليس هو الروح.
2. جاء المسيح إلى الأرض لينشئ إنسانية جديدة، يحررها من أثقال الخطايا بقبوله في سبيل شرائها أن يعيش عيشة الإنسان المحقّر وأن يموت ميتة الآثم المشينة (فهو صورة الله الخفية وهو أول الخلق).
3. شخصيته هي المكان (الميتافيزيقي)[1] الذي يجتمع فيه الله والخليقة.

أما التصور الثاني: فهو الذي تبرز فيه النظرية (اليوحانية) التي تعتمد على تعريف (السيد) بـ (اللوغوس)[2] الأمر الذي يبدو لأول وهلة قريباً من عبارة بولس القائلة بأن السيد هو الروح، ولكن هذا التصور ينطوي على مفهوم أكثر عمقاً، حيث أن (اللوغوس) وهو فيض الله، يمكن في نهاية البحث أن يكون تعبيراً عن الله، والقول بأن السيد هو (اللوغوس) Logos[2] يكاد يكون مرادفاً للقول بأن السيد هو الله.

ويأتي التصور الأخير لشخصية المسيح وهو المعروف بالظاهري، والذي يقول بأن السيد ليس إنساناً إلاّ ظاهرياً، وبأنه لم يمتحن ولم يمت إلاّ في الظاهر[3].

وهكذا بدأت الفلسفة تتدخل في المسيحية بإيجاد المعاني المناسبة لبعض الكلمات والإصطلاحات المسيحية، وعند انتشار هذه التفسيرات والنظريات بدأ رجال الدين أنفسهم من المسيحيين يتساءلون عن معاني بعض التعبيرات التي يجدونها في المسيحية كالأبوة والبنوة والكلمة وغير ذلك، فنشأ ما يسمى **بالمسيحية المفلسفة**.

ولعل مسألة عيسى عليه السلام والأقانيم الثلاثة كانت محور البحوث والنظريات التي خاض بها الفلاسفة، أو فلسفها المسيحيون وظهرت في المسألة اتجاهات متعددة، ونشأت خلافات كثيرة أدّت إلى اختلاف بين الكنائس، وحروب طويلة دامية، وبقي الخلاف مستمراً حول المسألة، وما زال حتى يومنا هذا.

لقد نشأت المدرسة المسيحية على يد (**Origen** 185- 254م) في الإسكندرية، وهو زعيم الإتجاه العقلي في العقيدة، والأستاذ **محمد البهي** يوضح لنا رأي (**Origen**) في هذه المسألة فيقول:

لم يقف (Origen) عند التفسير يفوض المعنى في ذلك إلى الله شأن المفوضين من علماء الدين، كما لم يذهب إلى الشرح الحسي، فاعتبر المسيح عقل الله، فالله والمسيح إذن، أو الله وابنه أو الله وكلمته، أزليان قديمان، لأن العقل البشري في اللحظة التي يتصور فيها وجود الله يتصور أيضاً وجود كلمته معه فليس وجودها مسبوقاً بفترة من الزمن[4].

وهكذا وبتأثير ثقافة البيئة الهلينستية بدأ رجال الدين المسيحي يفسرون النصوص التي عندهم تفسيراً فلسفياً حتى توصلوا إلى هذه النظريات التي ألهت السيد المسيح أو جعلته إلهاً.

غير أن هذه التفسيرات المؤلهة لم تكن محل إجماع عند رجال الدين المسيحي أنفسهم، فإننا نرى منهم من أنكر هذه النظريات التي رفعت المسيح من كونه بشراً، ومع ذلك كانت لهم نظريات متأثرة بالفلسفة من أمثال (آريوس) و (نسطور) اللذين أنكرا مذهب المساواة، وسيأتي الحديث عنهما إن شاء الله عند حديثنا عن المجامع وأثر رجال الكنيسة على الإنحراف.

الفلسفة والتثليث

بعد أن تكلمنا عن أثر الوثنية في تسرب عقيدة التثليث إلى المسيحية نشير هنا إلى أن الفلسفة أيضاً كان لها دور بارز في هذه العقيدة، فقد توصلوا بتفكيرهم وأشاعوها حتى بدأت تتسرب إلى المعتقدات المسيحية. والفلسفة اليونانية هي الفلسفة التي برز فيها هذا التفكير، وهي أيضاً تهمنا بالدرجة الأولى من بين الفلسفات، لأنها الفلسفة السائدة في ذلك المجتمع الذي نشأت فيه العقيدة المسيحية.

يقول الدكتور **إبراهيم نصحي** في كتابه تاريخ البطالمة:

والحق أن المؤثرات الهلنستية قد بدأت تتسرب إلى المعتقدات المسيحية، كما يقر اللاهوتيون المسيحيون، إذ أخذت الكنيسة تلائم بين معتقداتها، وبين أنماط الفكر المعروف في العالم الهلنستي[5].

وأبرز قضية دخلت إلى المسيحية عن طريق الفلسفة هي (التثليث)، تلك الفكرة التي عرفها الفلاسفة اليونانيون على هذا النحو:

كانت الفكرة الهلنستية عن العالم أنه مركب من ثلاث طبقات، السماء والأرض والعالم السفلي، وجرى تطبيق تصور ذلك التصور الثلاثي على المسيح بالقول بمرحلة وجود أولي له سابقة على ولادته من مريم على الأرض، ثم مرحلة التجسد عند ولادته من مريم، ثم مرحلة قيامه بعد الصلب ورفعه، وبدأت بوادر ذلك في كلام بولس الذي لم يشهد المسيح، وتظهر

[1]- (الميتافيزيقي) كلمة يونانية بمعنى ما وراء الطبيعة أو ما وراء الحس والمشاهد.

[2]- (اللوغوس): اصطلاح يوناني بمعنى الكلمة أو ما يفيض عن الله.

Click here to read about Logos in Encarta [2]

[3]- انظر: المسيحية، جيني بير: ص 149- 150.

[4]- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، د.محمد البهي: ص 105، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة 1967م.

[5]- عن مقال الدكتور محمد فتحي عثمان، بعنوان (التثليث والنصرانية) في مجلة (هذه سبيلي): ص 355. العدد الأول، السنة الأولى 1398هـ- تصدر عن المعهد اعالي للدعوة الإسلامية بالرياض.

آثار ثقافته اليونانية من خلال كلماته[6]، وفعلاً فإن الذي يمعن النظر في كلمات بولس يدرك صلة هذه الكلمات بالفلسفة، وأن التصور الذي وضعه بولس للمسيح عليه السلام يتناقض تماماً مع نظرة الأناجيل الثلاثة الأولى، ومع ما كان يفهمه أتباع المسيح زمن وجوده.

لقد أعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء والأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربَ المجد الله الآب[1].

واسمع ما يقوله بولس أيضاً في وصف السيد المسيح في رسالته إلى أهل كولوسي:

فإن فيه خلق الكل... ما يرى، وما لا يرى، سواء أكان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به ولد، وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل، وهو رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداءة[2].

نعود إلى التثليث فنقول بأنه قد عرف عند الفلاسفة وقد تعرف الفكر الهلنستي مثلاً على معتقد (الثالوث الإلهي) في مصر وارتضى البطالمة عبادة ثالوث من **سيرابيس وإيزيس وهابوكراتيس**، وهو صورة معدلة لما عرفه المصريون من قبل من **أوزيريس وإيزيس وهورس**، وكان المصريون والإغريق يعبدون نفس الإله في صورتين مختلفتين، تتناسب كل منهما مع معتقدات كل فريق، كما يقول الدكتور **إبراهيم نصحي** صاحب المؤلف الموسوعي في تاريخ البطالمة: 27/1 [3]:

ولقد اتضحت فكرة التثليث بارزة عند الفلاسفة في مدرسة الإسكندرية، أو ما تسمى بالأفلاطونية الحديثة، فإن التثليث فيها بأقانيمه الثلاثة لا يكاد يختلف شيئاً عن التثليث في النصرانية.

وكان شيخ مدرسة الإسكندرية أمنيوس المتوفى سنة 242م قد اعتنق في صدر حياته المسيحية، ثم ارتدّ عنها إلى وثنية اليونان الأقدمين، وجاء من بعده تلميذه أفلوطين المتوفى سنة 270م وقد تعلم في مدرسة الإسكندرية أولاً، ثم رحل إلى فارس والهند، وهناك استقى ينابيع الصوفية الهندية واطلع على تعاليم بوذا وديانة برهمة، ثم عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية وأخذ يلقي بآرائه على تلاميذه[4].

وأفلوطين سنة 270م هو الذي برزت في ذهنه قضية التثليث التي تسربت إلى ذهنه، وتعلمها من الديانات الهندية، وقد تحدثنا في الفصل الماضي عن التثليث عند الوثنيين الهنود، ولاحظنا تثليث البراهمة وتثليث البوذيين، فعاد أفلوطين من هناك، وهو يحمل في جعبته هذه الأفكار.

ويتلخص كتابه في منشيء الكون في ثلاثة أمور:

1. أن الكون قد صدر عن منشيء أزلي دائم لا تدركه الأبصار.
2. أن جميع الأرواح شعب لروح واحد، وتتصل بالمنشيء الأول بواسطة العقل.
3. أن العالم في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة، فالله منشيء الأشياء وهو مصدر كل الأشياء، وأول شيء صدر عنه هو العقل، صدر عنه كأنه يتولد منه، ولهذا العقل قوة الإنتاج لكن ليس كمن تولد عنه، ومن العقل ما تنبثق الروح التي هي وحدة الأرواح، وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء ومنه يتولد كل شيء)[5].

فهل هنالك فرق بين هذا الإعتقاد الفلسفي وبين عقيدة الثالوث النصرانية التي أقرتها مجامع النصارى. فالكون عند أفلوطين 270م صدر عن منشىء أزلي دائم، وهو ما يطلق عليه النصارى اسم **الآب**، والعقل هو الواسطة وهو صادر عن المنشىء الأول، وهو ما يطلق عليه عند النصارى اسم **الإبن** وعن هذا العقل تنبثق الروح، وهي ما يسميه النصارى **روح القدس**. ويقول أفلوطين: وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء، ومنه يتولد كل شيء. وهذا هو نفس اعتقاد النصارى في الثالوث الذي يعتبر منشىء الكون وخالقه يتولد منه كل شيء في الحياة، كما يقولون.

أمام ذلك نستطيع الجزم بأن المسيحية قد أخذت فكرة التثليث إما عن الفلسفة مباشرة، وإما عن الوثنية، وهي نفس المعين الذي استقت منه مدرسة الإسكندرية أفكارها، ولعلها أخذت مباشرة عن الفلسفة لأن أفكار أفلوطين المتوفى سنة 270م كانت سابقة بفترة زمنية قليلة على الفترة التي أقر فيها التثليث في مجمع نيقية سنة 325م.

المهم أن عقيدة التثليث دخيلة على النصرانية، ظهرت انعكاساً لدراسات الأفلاطونية الحديثة، والأوهام السائدة في المجتمع الروماني اليوناني.

يقول الأستاذ **فتحي عثمان**:

واللاهوتيون المسيحيون يتجاهلون الترتيب الزمني، ويحاولون أن يعززوا القول بأن التفسيرات التالية في الحدوث حسب الترتيب الزمني، هي أصل المسيحية أو جوهرها الذي لم يكشف عنه الغطاء إلا بعد تطور معين، ويذكر الباحث اللاهوتي تاريخ تدمير معبد اليهود في أورشليم (القدس) على أيدي الرومان سنة 70م، كحد فاصل في تاريخ الكتابات الإنجيلية، إذ بدأ بعد ذلك التاريخ إضفاء الألوهية على المسيح بوضوح، وهو لا يرى في ذلك مجرد صدفة، بل يرى أن تدمير الهيكل استلزم أن تكسر المسيحية عنها طوق اليهودية بتوحيدها المتشدد[6].

وهكذا فإن العقيدة المسيحية لم تبق على حالها، وبدأ تطور هذه العقيدة كما أوضح الأستاذ **جيني بير** كالتالي:

1. لم يكن الإيمان من حيث المبدأ يقبل أي جدل في عقيدته الأساسية الخاصة بالتوحيد.
2. كانت النهاية لكل الإضافات الإيمانية الخاصة بدور شخصية المسيح تقريبة من الله إلى درجة الوحدة.

---

[6]- عن مقال الدكتور محمد فتحي عثمان، بعنوان (التثليث والنصرانية): ص 355.

[1] - فيلبي: 6/2- 11.

[2] - كولوسي: 15/1- 20.

[3] - من مقال الدكتور فتحي عثمان، مجلة هذه سبيلي: ص 358.

[4] - محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 4، الهامش (عن كتاب: مقدمة أو المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، للمستشرق (لميون جوتيه) طبع باريس سنة 1923م).

[5] - محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة: ص 40.

[6] – من مقال الدكتور فتحي عثمان السابق في مجلة (هذه سبيلي): ص 358.

3. كانت هناك نزعة عكسية تسعى إلى إبراز الألفاظ من رمز الآب والإبن وروح القدس في شخصيات ثلاث تتحدد معالمها وتتميز يوماً بعد يوم[1].

وبذلك تكون المسيحية وقعت أمام هذا المأزق (ولم يكن لها إن أرادت الخروج سوى حلين: إما التخلي صراحة عن التوحيد والتسليم بالتثليث، وإما التخلي عن التمييز بين الشخصيات الثلاث في الله، أو القول بأن كلاً من هذه الشخصيات ليس سوى جانب جوهري من جوانب الذات الإلهية الواحدة. ولكن غالبية المسيحيين أرادت أن تبقي على وحدة الله التي لا تتجزأ[2].

وبذلك تكون الفلسفة قد تمكنت من الدخول إلى أعماق النصرانية تشوهها بأفكارها الوثنية، وتفرض عليها ثقافة البيئة الرومانية اليونانية، تلك الثقافة التي تعتبر خليطاً من أوهام وتصورات شتى، جمعتها من الأفكار الوثنية واليهودية والأوضاع السياسية في الدولة الرومانية التي كانت تحكمها.

إن كل هذه العوامل كان لها أثر كبير على الفلسفة، وعلى مجالات بحوثها، وتنعكس هذه كلها في النهاية على الديانة النصرانية.

ويقول العلامة **ول ديورانت** في قصة الحضارة:

إنا لنحس في هذه الفلسفة بما تحس به في المسيحية المعاصرة من جوَ روماني، نحس بابتعاد العقول الغضة عن مطالب الحياة الدنيوية، وليس عجيباً أن يكون (أفلوطين 270م) و (اوريجن) تلميذين صديقين، و (أفلوطيني) هو آخر الفلاسفة الوثنيين العظام، وهو مسيحي بلا مسيح.... ولقد قبلت المسيحية كل سطر من أسطره العظام، وهو مسيحي بلا مسيح.... ولقد قبلت المسيحية كل سطر من أسطره تقريباً، وما أكثر صحائف (أوغسطين المتوف سنة 430م) التي تردد نشوة هذا الصوفي الجليل)[3].

أثر الدولة الرومانية في انحراف النصرانية عن التوحيد

قبل أن نبدأ في حديثنا عن أثر الدولة الرومانية في انحراف النصرانية، لا بدَ لنا أن نتعرف بشيء من الإيجاز عن نشأة علاقة المسيحية بهذه الدولة.

إن المسيحية قد نشأت على أرض فلسطين، فكانت دعوة أراد الله تعالى بها أن تكون خاصة لبني إسرائيل فقط، ومضى عهد المسيح وعهد حوارييه والنصرانية تلتزم هذه الخاصية، لكن الأمور قد تغيرت بعد انقضاء هذا العهد، فالقديس بولس اليهودي الروماني لم يلتزم بذلك، بل قرر الخروج بالنصرانية عن تلك القاعدة، وبدأ يبشر جميع الأمم، ويدعوهم إلى الديانة الجديدة، وكانت الدولة الرومانية آنذاك تسيطر على أرض فلسطين، فدخل كثير من الرومان إلى النصرانية، وأدخلوا معهم أفكارهم الفلسفية الوثنية، ولم تقف المسيحية عند هذا الحد، بل عبرت إلى أوروبا بعد ذلك، وتشكلت داخل الفكر الروماني اليوناني منحرفاً عن المنهج الذي جاء به عيسى عليه السلام.

ومنذ أن عبرت المسيحية حدود الدولة الرومانية وبدأت تبشر بدعوتها جميع الناس من رعايا تلك الدولة غير مقتصرة على شعب اليهود، بدأت الدولة الرومانية تضطهد النصارى، والمؤرخون يشيرون إلى عشرة اضطهادات بين السنة 64 بعد الميلاد والسنة 313 سنة البراءة[4].

ولعل أشد فترة من الإضطهاد كانت في عهد نيرون 54- 68م، حيث يقول أسد رستم:

إن الإضطهاد أجري بموجب تشريع خاص صدر عن الإمبراطور نيرون سنة 64م وقضى بأن لا يكون أحد مسيحياً[5].

وفي الفترة ما بين عبور النصرانية إلى المجتمع الروماني، واعتناق قسطنطين لها، فإن النصرانية كانت تعيش صراعاً من ناحيتين:

1. مع الدولة، وقد واجهت منها اضطهاداً شديداً وتنكيلاً لا يطاق.
2. مع المجتمع الروماني الوثني، فقد خاضت المسيحية معه صراعاً دينياً وفكرياً مريرين، حيث واجهت المسيحية الغضة أفكاراً فلسفية وثنية، وكان على المسيحية بوصفها ديانة تحمل تعاليم إلهية أن تفرض هذه التعاليم على المجتمعات الأخرى، تصحح بها ما علق في أذهان الناس من خرافات الفلسفة والوثنية، ولكن الذي حدث عكس ذلك، فقد تنازلت المسيحية عن معتقداتها لتذوب وسط المعمعة الفكرية الوثنية.

لقد بدأ النصارى يتنكرون لبعض المبادىء في شريعتهم، ويتقبلون كثيراً من الأفكار الوثنية السائدة في ذلك المجتمع، كل هذا التنازل كان مداهنة منهم لتلك المجتمعات.

ويقص علينا القاضي عبد الجبار الهمذاني 415م، نقلاً عن كتاب للنصارى يعرف بكتاب **إفراسكس**[6] أن قوماً من النصارى خرجوا من بيت المقدس وأتوا أنطاكية وغيرها من الشام، فدعوا الناس إلى سنة التوراة، وتحريم ذبائح من ليس من أهلها، وإلى الختان، وإقامة السبت، وإلى تحريم لحم الخنزير، وأن ذلك شق على الأمم، فاجتمع النصارى في بيت المقدس وتشاوروا فيما يحتالون به على الأمم، ليجيبوهم ويطيعوهم، فأوجب رأيهم مداخلة الأمم والترخص لهم، وترك مخالفتهم والإختلاط بهم والأكل من ذبائحهم، وقد قال بولس في الكتاب الذي يسمونه **بالسليح**[1]:

أنا قلت لهم إلى كم تهودون الناس، وقال في (السليحين)[2]: (كنت مع اليهودي يهودياً ومع الرومي رومياً، ومع الإرمائي إرمائياً، والإرمائي هو الذي يعبد الكواكب والأوثان[3].

وهذا ليس أسلوب أصحاب العقائد من الرسل والدعاة، ولم يعهد عن المسيح عليه السلام أو حوارييه مثل هذا الأسلوب، وهم الذين ذاقوا أشد أنواع الإضطهاد، ولم يغيروا حكماً من أحكام دينهم.

وبهذه الطريقة استطاع بولس أن يتمكن عند ملوك الروم ويكون له عندهم شأن عظيم. والإنقلاب الذي حدث بدخول الدولة الرومانية إلى المسيحية تعود أسبابه الأولى إلى تمهيد من بولس، ويساعده في عمله زواج هيلانة لـ(بيلاطيس ويعتبر زواجها منه بداية الطريق لهذا التحول في الدولة الرومانية.

1- المسيحية، جيني بير: ص 157.

2- نفس المرجع: ص 157.

3- قصة الحضارة، ول ديورانت: 304/11.

4- الروم، د. أسد رستم: 33/1، الطبعة الأولى 1955م، دار المكشوف- بيروت.

5- نفس المرجع: ص 33.

6- ذكره ابن النديم بقوله: (وكتاب الحواريين ويعرف بـ (فراكسيس) بتقديم الكاف على السين). انظر: الفهرست، لابن النديم: ص 41، المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي بمصر.

1- السليح، اسم كتاب لبولس. ذكره ابن النديم وقال بأنه يتألف من أربعة وعشرين رسالة.

2- السليحين، اسم كتاب آخر لبولس.

3- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار الهمذاني: 150/1، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان- دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت 1386هـ.

وقصة الزواج هذه، يرويها القاضي عبد الجبار فيقول:

وقد كان للروم ملك يقال له بيلاطيس ماتت امرأته فأراد أن يتزوج مكانها، فوصف بولس لـ بيلاطيس امرأة بحرَانا اسمها هيلانة تكون في فندق بحرَان، والفندق هو الخان، وكانت نصرانية فحظيت عنده، وسألته إعزاز النصارى والإحسان إليهم، فأعزهم وصانهم ومكن لهم في ممالكه بالشام وبلاد الروم، ولد له من هيلانة ابن اسمه قسطنطينوس[4] وهو قسطنطين الذي آل الملك إليه واعتنق النصرانية بتأثير أمه هيلانة.

فبولس هو الذي مهّد لهذا كله، ومن هنا قدسه النصارى، ووثقوا به، وقبلوا منه كل تحريف، ووضع ذلك لأنه رفع عنهم الإضطهاد الذي عاشوه طويلاً. ولم يعلم هؤلاء المساكين أن ذلك لم يكن انتصاراً للمسيحية كما تصوروا، بل كان هزيمة ساحقة لها أمام الوثنية الرومانية. و بولس لم تكن تهمه تعاليم المسيح بقدر ما يهمه رضى الرومان عنه، ومن هنا جاءت أحكامه الجديدة مخالفة لشريعة التوراة ولما جاء به عيسى عليه السلام.

يقول القاضي عبد الجبار:

وكانت الروم تصلي إلى مشرق الشمس ولا ترى وجوب الوضوء ولا غسل الجنابة ولا الحائض... وأن الروم تزوج الوثنيين وسائر الأمم، وبنو إسرائيل لا تفعل ذلك، فقالت الروم لبولس في ذلك فقال: تزوج المؤمنة بالكافر فإنها تطهره، ولا ينجسها، والولد بينهما طاهر، وقال: هذا إنما تحرمه التوراة، والتوراة شرّ كلها، وإذا وضع عن الناس شرائع التوراة فقد كمل برّ الله وفضله، فاختلع بولس من ديانات المسيح وصار إلى ديانات الروم[5].

وبناءً على هذه التنازلات وأمثالها كثيرة في تاريخ النصرانية مع الرومان فقد قال القاضي عبد الجبار كلمة تكتب بماء الذهب، تصف الواقع الذي حدث بتنصّر الدولة الرومانية، قال:

إذا تبينت الأمر وجدت النصارى تروّموا ورجعوا إلى ديانات الروم، ولم تجد الروم تنصّروا[6].

نعم إن الواقع قد أثبت أن الروم لم يتنصّروا ولكن النصرانية قد تروّمت.... وقد قال هذا **شارل جيني بير** بعد القاضي بقرون:

إن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام[7].

قسطنطين (280- 377م)[8]

وقبل أن نبين أثر الدولة الرومانية على الإنحراف الذي نشهده في النصرانية لا بدّ لنا أن نتعرف على شخصية الإمبراطور (قسطنطين) الذي بدأت على يديه قصة اعتناق الدولة الرومانية للنصرانية.

وشخصية هذا الإمبراطور ذات أهمية كبيرة، وتوليه عرش الإمبراطورية يعتبر عند النصارى فاتحة خير وبركة على المسيحية، فقد انتهى الإضطهاد الذي عاشوه طويلاً. وأصبح رجال الدين النصارى يتمتعون بالمناصب العليا في الدولة، وتدرجوا بهذه المناصب حتى صارت رتبة البابا أعظم من رتبة الإمبراطور نفسه.

توليه العرش

كانت الإمبراطورية الرومانية قبل توليه العرش تعاني من انقسامات حادة، فقد كان يحكمها إمبراطوران هما ديو قليتيانوس 248- 305م في الشرق وعاصمته (نيقوميدية)، و مسكيميانوس في الغرب ومقره (ميلان)، وكان هناك قيصران مساعدان لهما الأول (غلاريوس) ويحكم إيليرية واليونان ومقدونية (وهو الذي طرد قسطنطين) عن قيادة الجيش. والثاني: (قسطنديوس كلوروس) ويحكم غاليه وإسبانية وبريطانية (وهو والد قسطنطين)، ولما استقال الإمبراطوران سنة 305م تولى الحكم بعدهما بموجب النظام الجديد القيصران المذكوران. وفي سنة 306م توفي (قسطنديوس) فأعلن (قسطنطين) نفسه قيصراً مكان أبيه، وحدثت اضطرابات في رومة وأصبح للدولة أباطرة ثلاثة وقياصرة ثلاثة، واستطاع (قسطنطين) أن يستولي على الحكم وحده وهزم كل هؤلاء في عدة حروب، وفي سنة 323م أصبح قسطنطين حاكم الإمبراطورية الوحيد[1].

أما عن تنصره وموقفه من النصرانية فلقد كان لوالدته هيلانة أثر كبير في التفاته إلى النصرانية، فقد عرفنا أنها كانت تعتنق النصرانية قبل أن تتزوج والده، واستطاعت أن تخفف الإضطهاد عن النصارى من قبل، لذلك فإنها غذت ابنها حب النصرانية، لكن أحداً من المؤرخين لم يقل إن قسطنطين اعتنق النصرانية قبل اعتلائه عرش الإمبراطورية، مع أن أرجح الروايات، أنه لم يتقبل سرّ المعمودية إلا وهو على فراش الموت.

أما السبب المباشر لتحوله إلى النصرانية فهو سبب سياسي، وإن كان المؤرخون المسيحيون يكتفون بذكر قصة الرؤيا التي رآها في منامه أو ما رآه أو خيل له أنه رآه في نهاره.

ويذكر صاحب قصة الحضارة أن قسطنطين حارب أعداءه الذين تآمروا عليه، وانتصر عليهم بعد أن زحف على رومة بسرعة مدهشة ونظام عسكري. وفي إحدى المعارك شاهد بعد ظهر اليوم الذي دارت فيه المعركة صليباً ملتهباً في السماء وعليه عبارة معناها (بهذه العلامة انتصر)، وفي صباح اليوم التالي رأى قسطنطين فيما يرى النائم أن صوتاً يأمره بأن يرسم

---

[4]- نفس المرجع: 159/1.

[5]- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار الهمذاني: 158/1.

[6]- نفس المرجع: 158/1.

[7]- المسيحية، جيني بير: ص 209.

[8]- هو قسطنطين بن قسطنديوس كلوروس من زوجته هيلانة، ولد في ((نيش) من أعمال يوغوسلافية، حوالي سنة 280م، وقد اختلف في أصل والدته فهي: إما أناضولية بلقانية في بعض المصادر أو سورية رهوية في البعض الآخر، نشأ في نيقوميدية في حاشية الإمبراطور= (ديو قليتيانوس) والتحق بالجيش وهو في الخامسة عشرة من عمره، وأظهر شجاعة وبأساً وحنكة ودراية فرقي إلى رتبة قائد في الثامنة عشرة... ولما تولى (غلاريوس) مكان (ديو قليتيتنوس) فصل (قسطنطين) من الجيش... ثم استدعاه والده (قسطنديوس) قيصر فالتحق به وكان يحكم غاليه وإسبانية وبريطانية. تولى عرش الإمبراطورية سنة 323م. وتوفي يوم العنصرة 22 أيار سنة 337م. **أنظر:** الروم، أسد رستم: 52/1، 53، 72.

[1]- الروم، أسد رستم: 52/1، 53.

جنوده علامة الصليب على دروعهم، فلما استيقظ من نومه صدع بما أمر، وخاض معركة خلف لواء عرف من ذلك الوقت باسم (اللبارم) رسم عليه الحرفان الأولان من لفظ المسيح يربطهما صليب[2].

ويذكر **أسد رستم** أن السيد المسيح ظهر له أثناء تلك الليلة حاملاً هذه الشارة نفسها موصياً إياه باتخاذها راية يهجم بها على عدوه، وهي التي أصبحت فيما بعد راية دولة الروم[3].

هذا ما يقوله المؤرخون عن السبب المباشر الذي جعل قسطنطين يتحول بدولته إلى النصرانية ويجعل شعارها راية له في معاركه.

ونحن هنا نترك التعليق للمؤرخ **ول ديورانت** الذي يقول بعد سرده لهذه القصة:

ولعل حقيقة الأمر أن قسطنطين رأى أن يربط حظه بحظ المسيحيين، حين رأى مكسنتيوس يرفع لواء مثراس وهو لواء الشمس التي لا تقهر[4].

ويتساءل **ول ديورانت** بعد ذلك فيقول:

ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا، وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب[5].

والأدلة تؤيد ما ذهب إليه ول ديورانت، فإن قسطنطين لم يتحول إلى النصرانية عقيدة، وإنما تحول لها لأن الظروف السياسية أملت عليه ذلك، أو أنه رأى من مصلحته، ومما يدعمه في حكمه أن يربط حظه بالصليب من جهة، وأن يجعل من النصارى الذين انتشروا في أنحاء الإمبراطورية أعواناً مخلصين يساعدونه في القضاء على أعدائه، وأكبر المؤيدات لذلك: أن قسطنطين بقي وثنياً طوال حياته، وأنه لم يتقبل النصرانية إلا على فراش الموت كما نقل أسد رستم عن **فازلييف**[6]، وإن كان الدكتور أسد رستم ذكر أنه تقبل سرّ المعمودية بعد انتصاره على مكسنتيوس في سنة 312م نفسها، وينقل ذلك عن العالم الفرنسي جول مويس لكنه قال: ويرى غير هذا العالم من رجال الإختصاص أن دليله ضعيف[7].

والمعروف أيضاً أن تحول قسطنطين هذا لم يكن يعني أن النصرانية أصبحت دين الدولة الرسمي، فإن براءة ميلان 311م ما نصّت إلا على حرية النصارى في عبادتهم، ومما جاء في البراءة: للمسيحيين أن يستمروا في الوجود، وأن ينظموا اجتماعاتهم شرط أن لا يخلوا بالنظام، وعليهم بناء على تسامحنا وتعاطفنا أن يصلوا إلى إلههم ليسعد ظروفنا وظروف الدولة وظروفهم[8].

بل إن قسطنطين نفسه بقي على وثنيته عبادة: (فكان يزور معابد الوثنيين ويحضر اجتماعاتهم)[1].

أما العبادات والشعائر المسيحية فلم يكن يهتم بها، وهذا ما يؤكده **ول ديورانت** فيقول:

وقلما كان بعد اعتناقه دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس، ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين أنه لم يكن يعنى بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب بها المسيحية مع أنه لم يكن يتردد في القضاء على الإنشقاق محافظة على وحدة الإمبراطورية[2].

فالقضية عنده سياسية، فقد تحول إلى المسيحية على أمل أن يكون هذا التحول طريقاً إلى نصره على أعدائه ومناوئيه، وظل الهدف هذا قائماً حتى بعد تحوله، فالأساس عنده مصلحته واستتباب الأمن في امبراطوريته، وهكذا كان يعامل رجال الدين النصارى وكان أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون، فكان يستدعيهم ويرأس مجالسهم، ولو أنه كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ، ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين فكأن المسيحية عنده وسيلة لا غاية[3].

وانطلاقاً من هذه السياسة كان هذا الإمبراطور يكره أي اختلاف ويحاول القضاء عليه بأقصى سرعة لأنه يخشى أن يؤثر هذا الخلاف على عرشه. وهذا ما ظهر واضحاً في قضية آريوس 270- 336م الذي سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد إن شاء الله.

فقد أراد أن يتفادى خطر حركة آريوس بأي شكل، وقد حاول بادىء الأمر أن يقنع الأطراف المختلفة بحل قضاياهم وحدهم بسرعة وبعث بصديقه هوسيوس أسقف إسبانيا إلى الإسكندرية ليتصل بحبرها الكسندروس الطرف المناوىء لآريوس ويصلح الحل، وكتب إلى كل من الكسندروس وآريوس بوجوب التآلف ونبذ الخصام[4].

ولما عجز عن الإقناع أقام مجمعاً مسكونياً لبحث هذا الخلاف سنة 325م سمي بمجمع نيقية حضره ما يقرب من 318 أسقفاً على رواية المؤرخ هيلاريوس ورأس المجمع بنفسه، وألقى كلمة افتتاحية طالب المجتمعين فيها أن يوحدوا الصفوف[5].

وبعد جلسات طويلة اشتد فيها الجدل والخلاف بين آريوس وأتباعه الموحدين الذين نادوا بأن الإبن مخلوق لا يساوي الآب في الجوهر، وبين الكسندروس وأتباعه المؤلهين الذين قالوا بمساواة الإبن للأب في الجوهر. ولم يخرج المؤتمر بقضية متفق عليها، عدئذ كان لا بدّ للإمبراطور الذي يهمه الأمن بالدرجة الأولى، أن يحسم الخلاف فيؤيد رأي المؤلهين لأن آراءهم أقرب إلى الوثنية التي نشأ بها من آراء الموحدين، وخرج المؤتمر بوثيقة إيمانية وضعها الكسندروس بطريرك الإسكندرية وبعض أنصاره من القساوسة وأقرّها قسطنطين وأمر بوجوب تنفيذها ونفى من الأساقفة كل من امتنع عن الموافقة عليها ونفى الأب آريوس أيضاً[6].

---

[2]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 384/11.

[3]- الروم، أسد رستم: 53/1.

[4]- قصة الحضارة: 385/1.

[5]- نفس المرجع: 387/11.

[6]- الروم، أسد رستم: 54/1.

[7]- نفس المرجع: ص 54.

[8]- نفس المرجع: ص 54.

[1]- السيد المسيح يلوح بالأفق، محمد سعيد الزعبي: ص 197. الطبعة الأولى سنة 1973م - بيروت.

[2]- قصة الحضارة، ول ديورانت: 387/11.

[3]- نفس المرجع: 387/11.

[4]- الروم، أسد رستم: 56/1، 57.

[5]- نفس المرجع: 57/1.

[6]- الروم، أسد رستم: 57/1.

يقول **محمد سعيد الزعبي**:

وهنا يتبين لنا حرج الإمبراطور، إذ لا يهمه الدين بقدر ما يهمه عرشه، فإذا اعترف بعقيدة آريوس وأتباعه الشرقيين فمعنى ذلك انحيازه لهم في نظر شعوب الإمبراطورية في جناحها الغربي، وبذلك تكون الثورة قد باتت محققة، فهيّأ ذلك المؤتمر غير متكافيء العدد حتى أجمعوا على آريوس وأتباعه بالهرطقة، فبطش بهم من غير أن يلام من قبل الشرقيين لأنه في هذه الحالة ينفذ عملاً شرعياً اجمعت عليه الكنيسة، وهذا ما حدث فعلاً...ويقول: " من كل ذلك نخلص إلى نتيجة شبه أكيدة أن انتشار عقيدة التثليث شرقاً وغرباً إنما تمّ بمؤازرة السلطة لها[7].

وفاة قسطنطين

وخلاصة القول أن قسطنطين بقي وثنياً إلى حين وفاته، وإن ادعى أنه قد تنصّر، وكما قلنا، إنه لم يتقبل سرّ المعمودية إلا قبيل وفاته. ففي سنة 337م أصيب بالحمى فذهب إلى مياه معدنية قريبة يستحم بها، ثم انتقل إلى أنقرة بالقرب من نيقوميدية، وكان يود أن يعتمد في نهر الأردن كما فعل المسيح نفسه ولكن الموت عاجله، فتقبل سرّ المعمودية على يد يوسيبيوس أسقف نيقوميدية، وخلع الأرجوان وألقاه جانباً وتردى بالبياض، وتوفي يوم العنصرة في الثاني والعشرين من أيار سنة 337م. وحنط جسمه، ووضع في تابوت من ذهب، ونقل إلى القصر في القسطنطينية... وعرض جثمانه مكللاً بالتاج ملفوفاً بالأرجوان. ثم أمر بنقله إلى كنيسة الرسل حيث صلى الإكليروس عليه طوال الليل، ودفن فيها في ناموس من الرخام وأله الشيوخ قسطنطين حسب العادة الرومانية وعظمه الشعب الوثني، وعبده أمام تمثاله الذي نصب فوق عمود من الرخام[8].

ويظهر من مراسيم دفنه أنه قد أقيمت عليه طقوس مسيحية، وطقوس وثنية مما يدل على أن كلا الطرفين كان يعتبره منهم، فالنصارى صلوا عليه باعتباره مسيحياً ودفنوه في الكنيسة، والوثنيون اعتبروه وثنياً فألهوه وعبدوا تمثاله وأقاموا عليه طقوسهم.

آثار التحول على عقيدة النصارى

والحقيقة التي لا يستطيع أحد إنكارها أن الدولة الرومانية عندما رفعت شعار الصليب فإنها أعلنت أن الديانة الرسمية لها هي المسيحية، سواء أكان اعتناق الإمبراطور للمسيحية سياسياً أم اعتقادياً.

والسؤال الذي يبرز الآن هو: **هل رضيت الوثنية الرومانية ذات الحضارة العريقة أن تتنازل عن معبوداتها، وتعلن استسلامها وإذعانها للعقيدة النصرانية؟**

الروايات التاريخية تؤكد لنا أن ما حصل هو العكس تماماً، فالذي حدث هو أن النصرانية كانت من قبل موحدة تؤمن بالله الواحد، وما لبثت بعد هذا الإمتزاج أن نشأت فيها أفكار فلسفية غربية، نادت بالتثليث والأقانيم والتجسد وغير ذلك من هذه الأفكار التي بدأت تنتشر، مستمدة قوتها من وثنية الرومان، وسلطان دولتهم التي باتت ترفع شعار الصليب.

يقول الأستاذ سيد قطب:

لقد عبرت النصرانية إلى الدولة الرومانية في أشد عصور الوثنية والإنحلال في هذه الدولة.... ومن ثم تدخلت الإمبراطورية الرومانية في النصرانية لا لتخضع لها، ولكن لتخضع النصرانية لوثنيتها العريقة[1].

إن المسيحية التي أراد الله لها أن تكون دعوة مخصوصة لبني إسرائيل لم تستطع مواجهة الوثنية الرومانية الحافلة بشتى الفلسفات والأفكار، فما لبثت أن تسربت تلك الأفكار إلى أصولها، وعندها بدأ الخلاف يدبّ بين رجال الدين من النصارى أنفسهم، فمنهم من تأثر بالفلسفات الوثنية المنتشرة، فراح يطبق تلك التفسيرات الفلسفية على مفهوم الألوهية وعلى بعض الإصطلاحات الدينية، فظهرت فكرة التثليث وألوهية عيسى عليه السلام، وبقي آخرون منهم محافظين على تعاليم الرسل الأصيلة، وتصدوا للأفكار الواردة، وكان لا بدّ للدولة أن تتدخل بحجة استتباب الأمن، لأن هذا الإختلاف يعكر صفو الأمن، في أرجاء تلك الإمبراطورية المترامية الأطراف، واختارت أن تقف مع الأفكار المؤلهة، كما يقول **الأستاذ أنور الجندي**:

كان للفكر الغربي بوثنياته وفلسفاته اليونانية والبابلية والهندية أكبر الأثر في تحريف المسيحية عن أصله[2].

إن النصرانية لم تنتصر في المعركة التي دارت بينها وبين الوثنية، وإن كان النصارى يعتبرون اعتناق الدولة الرومانية للنصرانية انتصاراً باهراً، بل إنهم كما قال **الأستاذ جيني بير**:

دفعوا ثمن الإنتصار غالياً، بحيث تستطيع القول في شيء من الجزم بأن مؤمني عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هذا الإنتصار لو قدّرهم ذلك إلا على أنه نكبة كبرى[3].

ويؤكد **الأستاذ جيني بير** أن هذا الإنتصار لم يكن إلا ظاهرياً، حيث إن الدين الجديد لم يطوع العالم اليوناني الروماني لعقيدته وروحه بل على العكس ترى هذا العالم قد تشربه وطوّعه لتطلعاته الأصيلة... والكنيسة هي المسؤولة عن تلك النتيجة لأنها هي التي كانت القوة المتحكمة في أمور المسيحية، وهي التي وافقت على الحلول الوسط على ألوان مختلفة من التنازلات، وأصبحت الكنيسة جانباً من جوانب الدولة الرومانية[4].

لقد كان للوثنية الرومانية وفلسفتها اليونانية الأثر البارز على انحراف النصرانية عن عقيدتها التوحيدية من أول الطريق، فما كان للمسيحية أن تتحول من **دعوة خاصة لبني إسرائيل** إلى **ديانة عالمية** إلا بتأثير الأفكار اليونانية والفلسفة الإغريقية.

وذكر الدكتور **السقا**:

[7]- السيد المسيح يلوح بالأفق، محمد سعيد الزعبي: 196، 197.

[8]- الروم، أسد رستم: 1/72- 73.

[1]- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب: ص 46. طباعة دار القرآن الكريم- بيروت- دمشق، نشر الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية- الكويت 1398م.

[2]- الإسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي: ص 188، دار الإعتصام- القاهرة.

[3]- المسيحية، شارل جيني بير: ص 182.

[4]- نفس المرجع: ص 192.

أن الرومان في فلسطين أله بعضهم المسيح في حياة المسيح نفسه من قبل وجود بولس، ذلك أن الرومان كانوا يحتلون بلاد اليهودية من سنة 63 ق.م وفي عهدهم ظهر المسيح، وكان الرومان الذين هم الورثة الشرعيون لفلسفات اليونان يقولون بتجسّد الآلهة، وقد انتهز بولس هذه الفرصة السانحة، ونادى بألوهية المسيح جهراً وبدون خوف، اعتماداً على أن الرومان يألفون هذه العقيدة، واستعان بالفلسفة الشائعة في العالم عن التثليث لتثبيت أركان هذه العقيدة [5].

وقد استدلّ (**السق**ا) على ذلك بما ورد في إنجيل برنابا ما نصّه:

وحدث في هذا الزمن اضطراب عظيم في اليهودية كلها لأجل يسوع، لأن الجنود الرومانية أثارت بعمل الشيطان العبرانيين قائلين: إن يسوع هو الله قد جاء لينقذهم فحدثت بذلك فتنة كبرى حتى إن اليهودية كلها تدججت بالسلاح مدة الأربعين يوماً لأن فريقاً قال: إن يسوع هو الله قد جاء للعالم. وقال فريق آخر: كلا بل هو ابن الله. وقال آخرون: كلا لأنه ليس لله شبه بشري، لذلك لا يلد بل إن يسوع الناصري نبي الله[6].

ووقف عيسى خطيباً ليخمد هذه الفتنة فقال:

أشهد أمام السماء وأشهد كل شيء على الأرض أني بريء من كل ما قد قلتم لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله[1].

ففكرة التعدد والتجسّد وحلول الإله وتجسده بالناسوت يعرفها الفكر الوثني منذ غابر العصور، وكل هذه الأفكار دخلت إلى النصرانية بعد انخراطها في ذلك المجتمع الوثني، مع أن رجال الدين النصارى كما قلنا، لم يرضوا جميعاً بذلك الإنحراف بل رضي به المنافقون الذين يسعون إلى مناصب في الدولة.

يقول (**درابر DRABER**) الأمريكي في كتابه **الصراع بين الدين والعلم**:

دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة، ومناصب عالية في الدولة الرومانية بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحتفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له في يوم من الأيام[2]...إن الجماعة النصرانية لم تستطع أن تقطع دابر الوثنية، وتقتلع جرثومتها، فاختلطت مبادئها، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء. هناك يختلف الإسلام عن النصرانية إذ قضى الإسلام على منافسه (الوثنية) قضاء باتاً، ونشر عقائده من غير غش[3].

ورغم أن معظم المسيحيين في الشرق رفضوا هذا الإنحراف عن العقيدة الأصلية (عقيدة التوحيد) فإن هذا الإنحراف وجد من قوة الدولة وسلطانها ما مكن له على معارضيه، لقد امتدّ الصراع بين بولس وأتباعه من جهة، وبين المسيحيين الحقيقيين من جهة أخرى، وامتد قروناً بعد وفاة بولس، ولما انتصرت فكرة الرومان المعددة على فكرة المسيحيين الموحدين، قضي على كل كتابات الموحدين، وقبرت وأعدمت نهائياً، ثم أصبح لهؤلاء الطابع الرسمي المقرر بينما قضوا على كل ما عداها بالفناء مما يعارض رأيهم، وفي مقدمته (إنجيل برنابا) الذي كتب إنجيله للرد على ما أسماه (ضلالات بولس)، وكان ذلك مقدمة لسيطرة الكنيسة على أوروبا بعد سقوط الرومان سنة 476م[4].

ونختم هذا الموضوع بكلمة نعرب فيها عن أسفنا لما آلت إليه النصرانية من الذوبان في الفلسفات الوثنية، وعدم استطاعتها الوقوف أمامها.

إننا لا نقول بأن الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام قد انهزم، لأن الدين الإلهي لا يهزم، والنصرانية التي جاء بها المسيح عليه السلام من عند ربه ما أعدت للدخول في هذه المعركة وإنما جاءت مكملة لشريعة التوراة مخصوصة لشعب بني إسرائيل.

لقد انهزمت نصرانية بولس ونصرانية رجال الدين الذين كان همهم الأول الحفاظ على مناصبهم في الدولة، ولو كان ذلك على حساب انحراف دينهم.

والذي يزيد في الأسف أن النصرانية قد تبوّأت مقعداً يعتبر مركز الصدارة في الدولة الرومانية، لكنها لم تتبوّأه إلا بعد انحرافها، والمهم أنها لم تحسن استغلال هذا المنزل. لقد استطاعت البابوية أن تنتصر على الإمبراطور حتى أن هنري الرابع ممثل الإمبراطورية اضطر سنة 1077م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوي في قلعة (كانوسا)، ولم يسمح له البابا بالدخول إلا بعد أن شفع له الرجال فسمح له بالمثول بين يديه، فدخل الإمبراطور صاغراً حافياً لابساً الصوف، وتاب على يديه فغفر له البابا زلته[5].

لقد كان بإمكان رجال الدين النصارى لو كانوا نصارى حقاً أن يستغلوا سلطانهم هذا، ويصححوا ما علق في أذهان الناس من خرافات وثنية، بدل أن يجعلوا من الوثنية ديناً لهم، ويرتكبوا الجريمة الكبرى، جريمة تحريف كلام المسيح عليه السلام وما جاء به من عند ربه، ونسخه بأساطير وثنية، ومسخ العقيدة التي جاءت بالتوحيد إلى عقيدة وثنية مشركة تنادي بعبادة إله مثلث الأقانيم كما هي عبادة الوثنيين في الهند ومصر وفارس وبابل وغيرها، وكما هي تصورات الفلاسفة وأوهامهم الذين كانوا يشكلون أساسا البيئة الثقافية في الدولة الرومانية.

ولكن رجال الدين من سوء حظ النصرانية ومن سوء حظ الأمم التي دانت بها أساءوا استعمال هذا السلطان الهائل فاستغلوه لأنفسهم ونفوذهم وجاههم[6].

5- أقانيم النصارى، د. أحمد حجازي السقا: ص 90. الطبعة الأولى 1397هـ، مطبعة المجد، نشر: دار الأنصار بالقاهرة.

6- برنابا: 91/1-6.

1- برنابا: 93/9-10.

2- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي: ص 237، طباعة دار القرآن- بيروت- دمشق، نشر الإتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية- الكويت 1398هـ.

3- نفس المرجع: ص237.

4- الإسلام والفلسفات القديمة، أنور الجندي: ص 192.

5- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي: ص 246- 247.

6- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي: ص 247.

Origen

Origen (circa 185-c. 254), celebrated Christian writer, teacher, and theologian of antiquity.

Also known as Origenes and surnamed Adamantius, Origen was born in Alexandria, Egypt. According to standard church histories, he was a student of Clement of Alexandria. Origen taught in the city for about 28 years, instructing Christians and pagans. He composed his major dogmatic treatises there and began his many critical works.

Visiting in Palestine in 216, Origen, a layperson, was invited by the bishop of Jerusalem and the bishop of Caesarea to lecture in the churches on the Scriptures. About 230, the same bishops ordained him a presbyter without consulting Origen's own bishop, Demetrius of Alexandria. Demetrius objected, and two synods were held at Alexandria, the first forbidding Origen to teach there and the second depriving him of his priesthood. Origen then settled at Caesarea and founded a school of literature, philosophy, and theology. During the persecutions of the Christians in 250 under Emperor Decius, Origen was imprisoned and tortured. Released in 251, but weakened by injuries, he died about 254, probably in Tyre.Origen may well have been the most accomplished biblical scholar of the early church. His accomplishments as an exegete and student of the text of the Old Testament were outstanding. He was a voluminous writer whose works include letters, treatises in dogmatic and practical theology, apologetics, exegeses, and textual criticism. *Contra Celsum* (Against Celsus) is a closely reasoned long apologetic work refuting arguments advanced by the philosopher Celsus, an influential 2nd-century Platonist of Alexandria and perhaps the first serious critic of Christianity.In addition, Origen is regarded as the father of the allegorical method of scriptural interpretation. He taught the principle of the threefold sense, corresponding to the threefold division of the person into body, spirit, and soul, which was then a common concept. **He was a Platonist and endeavored to combine Greek philosophy and the Christian religion. He developed the idea of Christ as the Logos, or Incarnate Word, who is with the Father from eternity, but he taught also that the Son is subordinate to the Father in power and dignity.** This latter doctrine and others, such as that of the preexistence of the soul, were severely criticized by many of Origen's contemporaries and by subsequent writers. Theories that were developed from his doctrines became the subject of considerable theological controversy during the Middle Ages.

Logos (philosophy and religion)

Logos (philosophy and religion), the divine reason that acts as the ordering principle of the universe. The term is derived from Greek for "word" or "reason" and was used in ancient and medieval philosophy and theology.

The 6th-century BC Greek philosopher Heraclitus was the first to use the term Logos in a metaphysical sense. He asserted that the world is governed by a firelike Logos, a divine force that produces the order and pattern discernible in the flux of nature. He believed that this force is similar to human reason and that his own thought partook of the divine Logos.

In Stoicism, as it developed after the 4th century BC, the Logos is conceived as a rational divine power that orders and directs the universe; it is identified with God, nature, and fate. The Logos is "present everywhere" and seems to be understood as both a divine mind and at least a semiphysical force, acting through space and time. Within the cosmic order determined by the Logos are individual centers of potentiality, vitality, and growth. These are "seeds" of the Logos (*logoi spermatikoi*). Through the faculty of reason, all human beings (but not any other animals) share in the divine reason. Stoic ethics stress the rule "Follow where Reason [Logos] leads"; one must therefore resist the influence of the passions—love, hate, fear, pain, and pleasure.

The 1st-century AD Jewish-Hellenistic philosopher Philo Judaeus employed the term Logos in his effort to synthesize Jewish tradition and Platonism. According to Philo, the Logos is a mediating principle between God and the world and can be understood as God's Word or the Divine Wisdom, which is immanent in the world.

At the beginning of the Gospel According to John, Jesus Christ is identified with the Logos made incarnate, the Greek word *logos* being translated as "word" in the English Bible: "In the beginning was the Word, and the Word was with God, and the Word was God. . . . And the Word became flesh and dwelt among us . . ." (John 1:1-3, 14). **John's conception of Christ was probably influenced by Old Testament passages as well as by Greek philosophy,** but early Christian theologians developed the conception of Christ as the Logos in explicitly Platonic and Neoplatonic terms (*see* Neoplatonism). The Logos, for instance, was identified with the will of God, or with the Ideas (or Platonic Forms) that are in the mind of God. Christ's incarnation was accordingly understood as the incarnation of these divine attributes.

See also Greek Philosophy